

بين
نرف
وعرف

رائد العمري

لوحة الغلاف " بين نَزفِ وعزفِ "

بريشة الفنانة العراقية أريج حسيب بلوطة



بين نرف وعرف

رائد العمري

٢٠٢٢

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2022\11 \5708)

819.9

العمري، راند محمود ضيف الله
بين نرف وعزف / راند محمود ضيف الله العمري – إربد : المؤلف ، ٢٠٢٢
() ص.
ر. أ. : 2022\ 11\5708 .
الواصفات :/ النصوص الأدبية // القصص القصيرة // الأدب العربي/

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعتبر هذا
المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

ISBN 978-9923-00-533-0 (ردمك)

لوحة الغلاف الأمامي : الفنان إدريس السعد الجراح / الأردن

لوحة الغلاف الخلفي : الفنانة أريج حسيب بلوطة / العراق

التنسيق والإعداد الطباعي : مكتب القيصر

الأردن – إربد ٢٠٢٣ \ ٤٦٢٤٦٩٩٠٧

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف : لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي
جزء منه ، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من
الأشكال دون إذن خطي مسبق من المؤلف.

الإهداء

إلى كلِّ السالكينِ فُروبِ الخُلمِ وقد حُميتِ أَمَاطِرُ ..

إلى كلِّ النازفةِ قلوبهمِ جِراءِ عَزْفِهِمْ عَلَيَّ وَرِ الحَقِيقَةِ ..

إلى الجذور: (السري - رسمه اللثم) - (السري ورثني اسمه وثار عنه الطيب
المترقب.

إلى والدني الذي فجعرت في بنابيع حبتها الصايف فما ظمئت قط ..

إلى تلكِ النجوة التي فرحت في ما أؤخره ليومِ حجابِ (أولادي).
إلى الفروع:

إبني باقوت سندي ومصدر إلهامي (الذي منه ومعهُ أَسْمَدُ قَوْيِ وَضَعْفِي ..

إلى إبني رامي الذي حلّمني الصبرَ وأفهمني معنى الرضا بالقدر بابسامته رمزِ
الصبر ..

إلى إبني محمودِ خاتمِ رسالاتي في الحب ، تسيبه أبني أسماء وسكلاً ومضموناً ،
والذي معهُ عرفت معنى النصر ..

المقدمة

ليس كل ما نعرفه من الممكن البوح به ، القلم أكبر شاهد على تاريخنا الملطخ بالخيبات ، لطالما حاولنا العرف بلحنٍ طبيعيٍّ في جوٍّ هاديٍّ ولكننا كنا نقف أمام مسامع لم يعد يرق لها إلا الدخيل والصاحب من الألمان، مما دعانا لأن نعرف بشكلٍ انفراديٍّ محافظين على الأصالة والأناقة ، غير أبهين بما يحققه الآخرون ممن انقلبوا على مبادئهم وتاريخهم ولهثوا وراء مكاسب دنيوية ولو كان المطلوب منهم الرقص على لحنٍ نشازٍ ..

ولأننا أصبحنا المختلفين عمّن هم حولنا بعد خلعهم لثوب الأصالة ، ولأن عرفتنا صار غير مقبول عند أهل النفاق والهجين من الألمان ، فلم نستطع أن نتعلم ولو درساً واحداً في النفاق تحت مسمى المجاملة والسياسة ، أمّا هم فقد فققوا عين الحقيقة، وجعلوها تنرف كما قلوبنا، فما كان من القلم إلا أن يذرف من الحرف صدقه ،

ومن المشاعرِ أنبلها ، مُصوِّراً لواقعِ عايشناه ، وخذلانِ
 مررنا به ، مُتنقلاً بينَ المشاهدِ الثقافيةِ التي تمَّ رصدها
 بموضوعيةٍ دونَ تزييفٍ وبعضِ العلاقاتِ التي أصابت
 القلبَ بمقتلٍ، ولكنَّهُ بقيَ مُلطِّخاً بالحياةِ عازِفاً ونازِفاً في
 آنٍ واحدٍ ...

وقد جاءَ هذا المُؤلَّفُ والموسومُ بـ "بين نرف
وعزف" سرداً قصصياً خفيفاً على شكلِ قصصٍ قصيرةٍ
 جدًّا ، معَ بعضِ النماذجِ للومضةِ القصصيةِ في نهايتهِ
 لبيانِ قدرةِ لغتنا العربيةِ وبيانها على نسجِ حكايةٍ من بضعِ
 كلماتٍ لا أكثرَ ، أملاً أن أكونَ قد ضمنتُ هذا المُؤلَّفَ ما
 يُمتعُ ذائقةَ المُتلقيِ ويفيدهُ من غيرِ تعقيدٍ أو حاجةٍ لمُعجمٍ
 للفهمِ وتأويلِ الكلامِ ...

رائد العمري

كانون أول/ ٢٠٢٢

"هَمْجِي"

جاءهنَّ مُتَسَوِّلاً يَبْحَثُ عن مشاعرِ شَابَّةٍ ، لم يَزْجُرْهُ
 عمرُهُ أو رأسُهُ الأَشْيَبُ من فعلتِهِ تلكَ ، طَافَ حَوْلَهُنَّ
 يَبْحَثُ لِنَفْسِهِ عن فَرِيَسَةٍ ، كُلهُنَّ بِعَمْرِ بناتِهِ أو حتَّى
 حَفِيدَاتِهِ ، وما إن حاولَ الاقْتِرَابَ ومغازلةَ إحداهُنَّ ،
 ورَدَّتْ عليه بِكَلِمَةٍ : " نَعَمْ عَمُو " . حتَّى اشْتَطَّتْ نيرانُهُ ،
 وأَخْرَجَ كُلَّ الغَلِّ الذي يَخْفِيهِ ، وكلَّما رأى ابتسامَةً على
 وجهِ شابٍ أو شَابَّةٍ بِعَمْرِ الوَرْدِ اتَّهَمَهُمُ بالمُجُونِ ، من
 غيرِ رَادِعِ بَقِي ذاكِ الخَرِيفُ يَعِدِمُ هَيْبَتَهُ وما يَمْلِكُ من
 وقارٍ في حَلَبَةِ التَسَكُّعِ ...

"زيارة"

مع جنون الليلِ إذِ ادلَّهمَّ جاءني طيفُها على
استحياءٍ ! لم أكنُ أفهمُ كيفَ للغرباءِ أن يأتوا بكلِّ هذا
القربِ حدَّ الاحتلالِ ، ولم أفكرَ في شيءٍ إلا ما أنا فيه
من دِفءٍ رغمَ بُرودَةِ القلوبِ من حولي تمامًا كبرُودةِ
الجوِّ في كانونٍ ، هي وحدها التي أشعلتْ نجمَها في قلبي
فأشرقتْ على جُدرانِهِ ، حتَّى الظلُّ استحيَ في حضورِها
من الظهورِ ، عرَفتُ أنّ إشراقَها في قلبي لم تكن
اعتياديةً ، ففي كلِّ يومٍ تطاردُني الكوابيسُ من كلِّ زاويةٍ
في عقلي فلا أنامُ ، أما هذه الليلةُ الأمرُ مختلفٌ، فقد
حوَّلتْ كأبوسَيٍ لِحلمٍ ناعمٍ - قلَّما لمثلي أن يحلمَ حلمًا
ناعمًا تامًا كالراغدينِ والمُنعمينِ في الحياة- حاولتُ فهمَ
الأمرِ فبادرتُها بالسؤالِ عمَّن تكونُ ، تجاهلتْ سُوالي

وَرَدَّتْ بِقُبْلَةٍ ارْتَشَفَتْ مُرَّ الْحَيَاةِ الَّذِي عَلِقَ بِفَمِي ،
 وَاسْتَمَطَّرْتَنِي فِي أَرْضِهَا لِأَكْثَرِ مِنْ مَرَّةٍ وَكَأَنَّهَا تُخْرِجُ
 شُعُورَ الْحَرَمَانِ مِنْ مُتَعِ الْحَيَاةِ ، ثُمَّ عُدْتُ لِأَفْهَمَ مَنْ تَكُونُ
 مَرَّةً أُخْرَى مُحَاوَلًا الْإِمْسَاكَ بِهَا وَكَشَفِ كَيْنُونَتِهَا ، وَلَكِنَّهَا
 سَرَعَانَ مَا تَحَوَّلَتْ لِخِيُوطِ شِعَاعٍ مِتْلَاشِيَةٍ ، وَكَأَنَّهَا
 تُعَاقِبُنِي لِتَكَرَّرِ سُؤَالِي وَمُحَاوَلَتِي التَّعَرُّفَ مِنْ تَكُونُ ، وَقَدْ
 تَرَكْتَنِي بَعْدَمَا لَقَّنْتَنِي دَرْسًا فِي الْفَرْحِ بِدَفْئِهَا وَنُورِهَا وَرِقَّةِ
 تَعَامُلِهَا وَقَدْ أَزْدَدْتُ حَيْرَةً فِي سِرِّ حُضُورِ جَمَالِ طَيْفِهَا
 الْغَرِيبِ عَنِّي..

"صُدْفَةٌ مَقْصُودَةٌ"

في الليلة الثانية من زفاف الحظّ جاءته على
استحياءٍ ، ومن غيرِ أيِّ مُقاومةٍ جاءها ساعياً يبتغي أن
تضمّه إلى صدرِها ، حاولَ أن يُخفي دَمَعَهُ عنها ، ولكنّها
كانت تُمطرُ أيضاً بعبراتِها ، ظنَّ نفسه لاجئاً إلى خدرِها،
وما إن اقتربَ منها وجَدَها أكثرَ حاجةٍ للبوحِ منه ، ولأنّه
فهمَ حَجَلها فقد أطفأَ عينَ الشَّمسِ كي لا تكتثِفَ سرّها
الذي طالما خافَت أن يُفضَحَ للعامةِ ، فكانَ الليلُ الدّاجيَ
الغطاءَ لليلةِ الفرحِ التي أفرغَ كلَّ منهما ما عنده من طاقةٍ
في حجرِ الآخرِ قبلَ الفراقِ ...

" تَحْوُل "

يجلسُ والحيرةُ تملأُ روحهُ ، لم يكن اتّخاذُ أي قرارٍ سهلاً عليه ، يقولُ في نفسه : " هذه الأرضُ أصبحت غيرَ صالحةٍ للزراعةِ ، وذلك المعولُ ملٌّ من شدةِ تصحرها ولو أظهرت أنّ تربتها حمراء اللون -تماماً كأراضي سهلِ حوران- إلا أنّها مُفلسةٌ من الداخلِ لا تُنبتُ زرعاً ولا سبيلَ لإحيائها من جديدٍ ". تذكرُ أنّ جدّه الحكيمُ قالَ له ذاتَ يومٍ: "إنّ النفخَ في الرمادِ لن يُشعلَ لك ناراً ولن يجلبَ لك دفناً أو نوراً ، وكذلك الحالُ إن تصحّرتِ الأرواحُ فهي كالأرضِ المواتِ التي لم يعد ينفعُ معها كلّ غيثِ السماءِ ". حاولَ لعدةِ مراتٍ أن يستصلحها ويغيثها ، لكن في كلّ مرةٍ أراه يفشلُ في هدفه النبيلِ ، لذلك كانَ قرارُهُ هجرَ هذه الأرضِ والرحيلَ عنها...

"تَعَلُّقٌ"

عندَ الصِّباحِ بدأتُ الزُّهراءُ يَرُقِصْنَ دُونَ
 رَقِيبٍ أَوْ حَسِيبٍ ، فَقطراتُ النَّدى عَمَلتْ على مغازلتِهِنَّ
 بطريقَتِها الخاصَةِ ، نافذةُ عُرْفَتِي لم تُكُنْ مُحَكِّمَةَ الإِغلاقِ ،
 بدأتِ الرِّيحُ تَهزُّ الجُوريَ لِيَسَلِّمَ عَلَيَّ بِشِذاهُ العَبقِ ،
 العِصافيرُ البريئةُ تُؤدِّنُ بِلُطفٍ مُعلنَةٍ بِدَءِ صِباحٍ جَميلٍ ،
 تَذَكَّرْتُ الدِيكَ في بَيتِ جَدَّتِي الَّذِي لم يَكُنْ يَومًا لِيَكُلَّ من
 شِدَّةِ صِياحِهِ - العِصافيرُ أَجملُ بَندانِها الصِّباحيِّ خَلْفَ
 نافذتِي من صَوتِ الدِيكَ- وَقَفْتُ أَتأملُ ما سَجَّلَهُ عَقلِي من
 مَواعيدَ لَهذا اليَومِ فَعَقلِي ما زالَ دَفتَرًا لَكلِّ شَيءٍ. أُخِبرْتُ
 حَبِيبَتِي أَنَّ فُجْجانَ قَهَوَتِي الحُلُوِّ ما زالَ مَصدَرَ انتِقادِ
 المَثقِّفينَ من أَهلِ السَّادَةِ وبأَنِّي لا أَهتَمُّ لَما يَقولونَ فَأَنا من
 سَأرتِشِفُهُ كَما أَحَبُّ لا كَما يُريدونَ - النَّاسُ من حَوانِنا
 بِالعَادةِ يَحشرونَ أَنفِسابَهُم بِكلِّ شَيءٍ- قالَت: " الشَّمسُ

اليومَ أعاقها بعضُ الغيمِ عن خُلعِ خِمارِ الليلِ عن وَجهِ
 السماءِ". أمَلَّتْهَا أَنْ دَفَاءَ ذَاكَ الْقَلْبِ الْمَتْلَهْفِ لِلْقَاءِ سَيَقِينَا
 بُرُودَةَ هَذَا الصَّبَاحِ. فَيَرُوزُ تُنَادِينَا مِنْذُ الصَّبَاحِ عِبْرَ
 الإِذَاعَاتِ إِذْ تَقُولُ: "رَجَعَتِ الشَّتْوِيَّةُ". وَأَنَا مَا زِلْتُ
 أَنَاظِرُ فِي بَتَلَاتِ زَهْرَةِ الْجُورِيِّ الأَخِيرَةِ فِي حَدِيقَتِي،
 وَهِيَ تَتَسَاقَطُ مَعَ الرِّيحِ وَتَرَاهُنُ فِي قَلْبِي: " تُحِبُّنِي، لَا
 تُحِبُّنِي" ..

"سجين"

يتعرقّ وكأنّ السماء أكرمتُه بغيثٍ أغرقَ ثيابهُ
 الخفيفةً ، السماء صافيةٌ وشمسُ قلبه تَسطَعُ بالنورِ رغمَ
 ليلِ قلبها الذي لم تُشرقِ شمسٌ عليه من قَبْلُ ، تراكماتُ
 الهمومِ في قلبها شَيَّدتِ العديدَ من الحواجزِ والأسوارِ ،
 هنا طَعنةٌ ليأسِ حُلْمٍ لم يكتَمَلِ ، وهناك مشنقةُ الآمالِ
 المعلقةُ ، يا لغربةٍ ووحشيةِ هذا المكان! بدأ يزرعُ غراسَ
 حبه في أرضِ قلبها المُتصحِّرةِ ، ويُحاولُ إشعالَ الشمسِ
 التي نالها الكُسوفُ النَّامُ ، لعلَّه يُزيحُ كلَّ أفلاكِ الغربةِ عن
 قرصِها ، هي لم تكن تُساعدهُ على إحياءِ قلبها فقد اعتادت
 على موتهِ والتكْيُفِ معه ، الخوفُ من المجهولِ كان يملأُ
 روحها البريئةَ ، هو كان أكثرَ جديَّةً في أن يُعيدَ لنَبعِ هذا
 القلبِ تدفقَهُ لتجريَ روافدهُ وأنهارُهُ من جديدٍ ، صدَّتْهُ
 مرارًا وعادَ بفعلتهِ تكررًا ، أتعبَتْها الظنونُ التي ما هدأتْ
 في عقلها غاديةً وذاهبةً ، وأخيرًا استسلمتِ لِسطوةِ قلبه

المُشعّ بالنُّورِ ، ومنذُ أن اخضرَّ قلبُها وصَفَتِ سماءُها
بالنُّورِ وهو يُوقِّعُ إقامتَهُ الجبريَّةَ دونَ أن تسمَحَ لَهُ بتعدي
أرضِ قلبِها أو الارتحالِ عَنْهُ...

" طِفْلةُ الحُدُودِ "

أتذكّرُها، كانت تركضُ مذعورةً كقطِ هاربٍ ؛
 اقتربتُ من صوتِ أُنينها ، حاولتُ الاختباءَ ، اقتربتُ
 أكثرَ ، علا صوتُ الذّعرِ منها ، أمسكتُها - كعصفورةٍ
 مُبَلَّلةٍ كانت - تفاجأتُ بما تحمِلُ في كيسيها ، بَكَت
 وحاولتِ الهُروبَ خَجلاً ، هدأتُها ، اطمأنت ، سألتُها:
 وماذا تفعلينِ بهذهِ القمامةِ ؟ قالتِ وبكلِّ فصاحةٍ لسانٍ:
 "ماتتِ النَّخوةُ ومُنِعتِ الصَّدَقَةُ ، وما وَجَدتُ كَافِلَ يَتِيمِ ،
 ومَلاً قلبِي الأَنيُنِ ولوَالِدِي الحَنيُنِ ، وأهلَكُننا السَّنيُنِ " .
 صَفَعَنِي كُلُّ حَرفٍ مِنها ، وأشعَلَ النَّارَ في قَلبي ، ولَعَنَتُ
 تَقاعُسَ حُكوماتٍ وتَخليَّ الشَّعوبِ عن مَسؤولياتِهِم تَجاهَ
 أمثالِها، وأخَذتُها لتَكونَ بُنيَّتِي ، وَها هِيَ اليَومَ طَبيبَةُ
 الأَطفالِ التي تُعالِجُ بالمَجانِ في حَينِنا ...

" بَيْنَ نَزْفِ وَعَزْفِ "

بترَّ العرفُ حلمه ، كم كان متعلقاً بطيفها الذي أخذهُ معه إلى عالمها! في لحظة حبٍّ ونشوةٍ صافيةٍ يعزفُ قلبه ، لم يرقُّ للعرفِ الذي اعتادت عليه من أن يستمرَّ في حلمه وعزفه الجميل ، فهي لم تعدَّ على زيارةٍ أحدٍ بهذا القربِ ، الوحدةُ التي اعتادت عليها روحها ساعدت في بترِ حلمها في بدايته ، وما إن احتضنته حتى بدأت تعدُّ عليه نبضاتِ قلبه الصَّادِقِ ، وقد أذاقته شهَدَ قُبَلَتِهَا الْمُعْتَقِ لنتذكَّرَ رِهَانَهَا مع ذاتها بِشأنِهِ ، وقبل أن تعطيه جرعةً من صدرها المُشعِّعِ بِالْحَنَانِ قرَّرتِ فِطَامَهُ ، فَبَنَرَتِ نشوتهُ وحلمه ، وتركتهُ يَنزِفُ من جديدٍ لتعيدهُ إلى عالمِ الكوابيسِ والحرمانِ...

"سَطْوَةُ الْحَبِّ"

رأيتها في المروج ، عانَدت كلَّ الفرسانِ ، كلِّهم
 حاولَ ترويضَها وكَبَّحَ جِماجِها ، رَفَضت كلَّ محاولاتِ
 ترويضِهم لها رغمَ ترغيبِهم وترهيبِهم ، فجاءَ ظَهْرَ
 الأصيلِ أمامها ، صَهَلت تُناديه ، لَبَّى صَهِيلها بِعِزَّةٍ ،
 أعجَبها حُضورُهُ ، فَشموخُهُ فَقَط أَهْلُهُ لِيَنالَ إعجابها ،
 سَمَحَت لهُ امتطاءَ صَهوتِها ، وأظَهَرَت انصياغها لأمرِهِ ،
 ومنذُ أن استطاعَ ترويضَها وهي تقودُهُ كَيفَما شاءت دونَ
 أن يعصِيَ لها أمرًا...

"قَدْر"

التقيا صُدْفَةً ، تبادلا النظراتِ ، تهاَمَسا
المشاعرَ ، سأَلها القُربَ استجابتِ ، اهتَزَّتْ صُخُورُ الجبالِ
فرحًا ، تحوَّلت رَملاً لِرِقَّةِ حُبِّهما الطاهرِ ، باركَتَهما
الشَّمْسُ بنورِها ، وما إنْ تقدَّمَ لخطبَتِها لم تتوقَّف السماءُ
عن البكاءِ حُزناً ؛ فقد أخبرَهُ عَمُّها بأنَّه من الطائفةِ التي
يَسْتَحِيلُ لأهلِها أنْ يُوافِقُوا على زواجِها مُنهم ...

"إيثار"

جاءهم ببشرى فوزهم بعد طول انتظارٍ ودَعِمٍ مِنْهُ،
 ازوَّرت وجوهُهُم بوجهه وعبست ، قالت من ظنَّها حبيبته
 وزوجته المستقبلية: " احذروا عينه الحاسدة وقلبه المليء
 بالغلِّ حقدًا على فوزنا". سمعها وأثر ستر الحقيقة، خاف
 أن يهمس ولو في نفسه بأنَّه سجَّل نصَّه الفائز باسمها قبل
 إصدار النتائج .

" قِصِيَّةٌ مَّصْلُوبَةٌ "

ذات ليلةٍ لآح طيفُها ، حملتُه إلى عالمِها ، أخبرها
 بشوقِها لها وألمِ الهجرِ ، تبسَّمت له ثمَّ رحلت ، تحوَّلَ
 حلمُها الجميلُ لكابوسٍ ، وبات كلُّ منهما في غُربته يتألَّمُ ،
 هو يُناجي اللهَ الخلاصَ لرحيلِها ، وهي تلومُ رجولتَه لعدمِ
 البحثِ عنها _ كعرسِ القطَطِ _ لم يَعْرِف أحدٌ من الجاني
 ومن المَجنيِّ عليه...

"جواد"

مَزَقَتْ رُوحَهُ غَرِبْتُهُمْ عَنْهُ ، تحسَّسَ أخبارَهم، كانوا
يَعْرِفُونَ بَأَنَّهُ لم يَكُنْ يَوْمًا سَيِّئًا ، كَم سَعَى لَأَن تُشْرِقَ فِي
كُلِّ يَوْمٍ لَهُ شمسٌ إِنجازٍ جَدِيدٍ فِي دَرَبِهِ! تُراقِبُهُ كَيْفَ يَأْتِيهِ
النَّجَاحُ عَن يَمِينِهِ وَشمالِهِ وَبِكُلِّ تَجاهاتِهِ ، يَزْرَعُ رِياحِينًا
وَفُلاَّ لِكُلِّ مَن حَوْلَهُ ، زَهَدًا لِأَجْلِهِم فِي رَغيدِ العيشِ
وَرَضِي بِالقَليلِ ، كعادَتِهِ لا يَتَوَأنى عَن دَعَمٍ وَمساندَةٍ
الجَميعِ. ذاتَ يَوْمٍ عَصَفَتْ بِه رِيحٌ غرورِهم فَقطَّعتْ
أوصالَ مَحَبَّتِهِ ، وَحطَّمتْ قُرَى أَشْرَعَةٍ عَطائِهِ ، وَمَعَ كُلِّ
هَذَا وَذاكِ ساقَ رِياحِ الغيمِ إِلى صَحرائِهِم ، وَسَقَى مَن
غَيْثِهِ أَرْضَ نَفوسِهِم المَتصَحِّرَةَ ، ليعودَ لَهُم الرِّبيعُ الَّذِي
هَجَرَهُم ، ثُمَّ عادَ إِلى عَزَلَتِهِ مَن جَدِيدٍ ...

"بطاقة"

جَدَّبَنِي ذَاكَ التَّصْمِيمُ الْمُتَقَنُّ بِحَرْفِيَّةٍ عَالِيَةٍ فِي
الدَّعْوَةِ الَّتِي وَصَلْتَنِي ، آثَرْتُ الحُضُورَ كِي لَا تَفُوتَنِي
الْفُرْصَةُ الْمَاتِعَةُ ، وَعِنْدَ الْمَسَاءِ خَرَجَ الْمُقَدَّمُ عَلَيْنَا مِتْلَعْنَمَا
بِحُجَّةٍ عَطِيٍّ فِي جِهَازِ الصَّوْتِ ، بَدَأَتِ الْكَاتِبَةُ بَعْرَضِ
أَجْمَلِ ضَحَكَاتِهَا وَتَفَنَّنَتْ بَعْرَضِ صَوْتِهَا وَغَنَجَهَا ، عَدَسَةٌ
الْمَصُورِ رَاقِبَتِهَا بِكُلِّ هَيْئَاتِهَا ، الإِعْلَامِيُّ نَشَرَ خَبَرَ
الْأَمْسِيَةِ الْعَظِيمَةِ لَجَمِيلَةِ الأَدَبِ - كَعَادَتِهِ رَفَعَ الْمَجْزُومَ
وَنَصَبَ الْمَجْرُورَ - الْجُمْهُورُ صَفَّقَ بِحَرَارَةٍ لِإِعْلَانِ
الْحُلُوى الْغَالِيَةِ الثَّمَنِ انْتِهَاءَ الأَمْسِيَةِ الأَدْبِيَّةِ النَّقْدِيَّةِ ، وَأَمَّا
أَنَا بَقِيْتُ أَبْحَثُ عَنِ الْمُصَمِّمِ الَّذِي تَفَنَّنَ فِي خِدَاعِي ...

" ثقافة منوعة "

في إحدى الدور الثقافية متعددة المواهب ، كانت الشاعرة على موعدٍ قبل الأمسية مع صاحب الدار لتؤدي ما عليها ، ولحظة وصول أحد رواد الدار ، جعلها صاحب الدار تهرب من الباب الخلفي قبل أن يراها صديقها الذي لمح ظلها ، سأله : " من كان عندك ؟ " أجاب : " لا أحد ". همس الصديق في نفسه قائلاً : " هل نسي أن عطرها الذي علق بردائه هو العطر نفسه الذي اشتريته برفقتيه وأهديته لها عند أول حُزنٍ لذات الشاعرة ".

" حُرِّيَّة "

سمع الخِطَابَ الأخيرَ لصاحبِ الأمرِ ، فَرِحَ لِنِدَاءِ
 الحَاكِمِ وَثُورَتِهِ فِي وَجهِ الظُّلْمِ ، اسْتَمَدَّ نَفْسًا عميقًا فِي حُبِّ
 الوَطَنِ ، وَجَّةَ أَنْظَارِهِ نَحْوَ الفَسَادِ وَأَهْلِيهِ ، وَبِكَلِّ ثِقَةٍ وَعِزْمِ
 انْتَفَضَ قَلَمُهُ نَحْوَ المُفْسِدِينَ ، صَاحَ فِي نَفْسِهِ : "لِبَيْكَ يَا
 وَطَنِي". وما إنْ فَرَغَ مِنْ كِتَابَةِ مَقَالِهِ الأخيرِ حَتَّى وَارُوهُ
 السَّجْنَ بِتَهْمَةِ إِطَالَةِ اللِّسَانِ عَلَى رَمُوزِ الوَطَنِ ..

"مشهد"

تلك العصفورةُ الرَّاقِدةُ في حُضنِ السماءِ تُسجِّلُ
كلَّ ما ترى وتسمع ، تزدري كثيرًا ممَّا تُسجِّلُهُ ، تبكي
لتلك المشاهدِ ، تصيحُ بي : " ما بكم يا بني البشرِ؟ عباآتُ
مُفرَّعةٌ من معانيها النَّبيلةِ ، نساءٌ يتسابقنَ في ضيقِ
البنطالِ ومدى إبرازِهِ وتجسيدهِ للمفاتنِ ، حلِيمٌ حائرٌ وَقَعَ
في مصيدةِ ثعلبٍ ، عدساتُ تَتَجَمَّعُ لالتقاطِ صورةٍ للغنيِّ
يُهدي فقيرًا بعضًا من مالٍ ، مُغفلٌ يَتَكَيُّ على منصَّةِ
الكلامِ التي اعتلاها المُتحدِّثُ ليخرجَ بالبتِّ المُباشِرِ
مُتجرِّبًا على اللُّغةِ ببتِرٍ في أساسِها وبيانِها ، وصيَّادٌ
مُتربِّصٌ لنيلِ أيِّ فريسةٍ ولو كانت نطيحةً أو مُترديَّةً أو
ممَّا عافها السَّبُعُ ، واستجلابٌ لجمهورٍ يتكايأ على شكلِ
تكريمٍ بلا عملٍ يُثني عليه". تيقَّنتُ من كلامِ العصفورةِ أنَّ
للارتقاءِ أهلُهُ وسلَّمُهُ وللانحدارِ زمرتهُ ودرَكُهُ ..

"براءة"

عندما التقيتهُ عرفتُ أَنَّهُ لم يكنَ محظوظًا ، ذاكَ
الطفلُ الذي أحسَّ بالغربةِ في كلِّ مكانٍ يلجأُ إليه ، حتَّى
في بيتهِ وبينَ أهلهِ يشعُرُ ببرودةِ القلوبِ من حوله ، تلعثَمُ
الحظُّ عندما أرادَ أن يذكُرَهُ بخيرٍ ، تكوَّرتُ الأحزانُ في
قلبهِ ، فكَّرَ في سبيلِ الرَّاحةِ ، عقَدَ العزمَ بنيةِ الخلاصِ ،
وعندَ سُكونِ اللَّيلِ صَلَّى صَلاةَ الخشوعِ هَلَّالًا واستغفَرَ اللهَ ،
جَهَّزَ مشنقةً تليقُ بحجمِ ألمهِ ، صعدَ فوقَ كرسيِّ
الخلاصِ ، وقبلَ أن يرميَ نفسَهُ إلى التهلكةِ سَمِعَ بُكاءَ أمِّهِ
وهي تُتاجيَ اللهَ فتقولُ : " يا ربِّ ، إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّنِي ما مَنَعْتُ
عن ابني شيئًا إلَّا كَي لا أوقَعَهُ ونفسيَ في حرامٍ ، فباركهُ
لي ليعينني عندَ ضعفي واجعله سندا لي في شيخوختي " .
وما إن سَمِعَهَا حتَّى أمطرتَ عيناهُ بغزارَةٍ ، وتيقنَ وَقَتَّهَا
أنَّهُ ظالمٌ لنفسِهِ وأهلهِ ، ولم يُودِّ بعدُ ما عليه مِن حَقِّ قَبْلِ
أن يهلكَ رُوحَهُ ..

"جوف"

يتأمل قلب حبة جوز الهند الذي أصابه العفن ،
يتذكر صديقه الذي تبدل حاله ، يبيدي عتابه له لمعرفة
بقدر محبته وبياض قلبه ، يتساءل : "لماذا نال العفن قلب
صديقه من الداخل رغم شدة الأحكام والإغلاق التام
ليصير كحبة الجوز القاسية القشرة " . يتأسى لحال
صاحبه وقد سمح لبعض الهواجس والفتن المنبعثة من
قلوب المتاجرين والمنافقين والمتكسبين بأن تستوطن في
قلبه ، يستذكر جميل أيامهما ؛ يحاول نصحه مراراً من
غير عتاب ؛ خوفاً عليه كي لا يستفحل العفن في جوفه ،
يخبره بأن المكاسب الآتية كلها لزوال وتبقى الصداقة
والأخوة النابعة من القلب وحدها الخالدة ، يقطع صديقه
قبل أن يفرغ من نصحه وقد امتلأ غضباً ، يقذفه بحبة
الجوز التي كانت سبباً في حنقه وخلصه .

" فِدَاء "

في ذاك الجُبِّ سَقَطَ النَّصُّ ، بَعْدَمَا خَانَتْهُ كُلُّ
حروفِهِ ، انتَظَرَ بعضَ سَيَّارَةِ الكَلِمِ عَلَّ أَحَدَهُم يُغِيثُهُ ،
فُتِحَتْ لَهُ رُؤى أَهْلِ الهَوَى ، رَاوَدَتْهُ الفِكْرَةُ عن نَفْسِهِ ،
استَبَاحَ خِدرَ البِلاغَةِ ، وما إن هَمَّت بِهِ حَتَّى قُطِّعَتْ
أوزانُها من خِلافٍ ، عَرَفَ مقصدَ قَافِيَتِهِ ، نَسَجَ قَصيدَتَهُ
الأولى بَعْدَمَا أَبْصَرَ عيونَ العاشِقِينَ ، وَحَدَهَ مَنْ قُدَّ حَظُّهُ
ليكونَ قُربانَها في يومِ أضحاها .

" جُحود "

من غير أيِّ سابق إنذارٍ فاجأته ، تلك الأفعى
التي طالما احتضنها في حجره ، عندما خلد إلى صلاة
الشكرِ ظلماً منه بوفائها اقتربت منه ، اطمأنَّ مُعتقداً بأنها
سنأتّم به وتتبعه ، وفي لحظة سُجوده خاشعاً التفت حول
عُنقه ، ظنّها تُعانقه حنيئاً ، فرِح قلبه ، قدّمت فاهها من
شفتيه ، زاد طمأنينةً بِقُبلة الاشتياقِ ، وقبل أن تجحظَ
عيناها ويُفارق الحياة ناداها : " حبيبتي، حبيبتِ ي ".
بقيت صورتها وهي تلدغهُ لليوم عالقةً في سردِ ذكراه.

" مَصِير "

بعدها كانت مُقَرَّبَةً للسبع وتترَعَّدُ في كَنَفِهِ ، تلك اللبؤة ارتأت أن تَرْتَحَلَ عَنْهُ ، تَنَقَّلَتْ بَيْنَ ضَبَاعِ وحيواناتِ الغابِ المُفْتَرِسَةِ فاقِدَةً الوَعْيَ ، رَمَتْ كُلَّ النَّصْحِ الَّذِي كَانَ قَدْ تَرَكَهُ السَّبْعُ فِي حَوَزَتِهَا ، ولم تَتَعِظْ بِأَيِّ مِنْهُ .

في ذاك الصَّبَاحِ نَطَحَهَا ثَوْرٌ أَرَعَنُ فَصَاحَتْ ثَمَلَةً تَسْتَعِيثُ ، وعندَ المساءِ اسْتَضَعَفَهَا الضَّبْعُ وَأَرَدَاها من أعلى التلِّ ، لتَصِيرَ مُتْرَدِيَةً تَلُومُ حَظَّها بَعْدَما عَافَتْ عَيْشَةَ العِزِّ ، تَذَكَّرَتْ عَيْشَتَها الأُولَى بِدِلالِ السَّبْعِ ونُصْحِهِ ، صَارَتْ تَنْدُبُ حَظَّها وتَصيحُ : "واحسرتاهُ مِمَّا أَهْلَكْتُ بِهِ نَفْسِي" .

" وسواس "

هَذَا الْمُتْلَعِثُ الْخُطَا لَمْ يَتَوَانَ عَنْ إِذَاءِ الْآخِرِينَ
 وَفَتَنَتِهِمْ ، لَمْ يَرُقْ لَهُ أَنْ تَجْتَمِعَ قُلُوبُ النَّاسِ وَتَتَّحِدَ ، شَاوَرَ
 أُسْتَاذَهُ إِبْلِيسَ ، نَسَجًا مَعًا الْأَقْوَالَ وَالْحَكَايَا ، أَخَاطُوا ثَوْبَ
 الْاِفْتِرَاءِ ، رَمَوْا بِسَهْمِ الْفِتَنِ قَلْبَ ذَاكَ الْحَبِيبِ الْمُرْهَفِ ،
 وَمِنْ غَيْرِ تَفْحُصٍ حَكَمَ عَلَى مَعْشُوقَتِهِ بِالْعِدَاءِ ، ثُمَّ
 ارْتَحَلَ.

" حَسَد "

مَرَرْتُ بِالشَّمْسِ مُشْرِقَةً ، أَخْبَرْتُهَا بِأَنَّ بَعْضَ الصَّغَارِ اتَّهَمُوا الْمَرَايَا بِأَنَّهَا كَاذِبَةٌ ، ابْتَسَمَتْ ، ثُمَّ قَالَتْ : " لِأَنَّهُمْ يَخْشَوْنَ أَنْ تَعْكِسَ حَقِيقَتَهُمْ ، فَأَوْلَهُمْ كَعَشِبِ النَّجِيلِ الصَّغِيرِ يَتَمَدَّدُ وَيَتَّسِعُ أَرْضًا لَتَدْوِسَهُ الْأَقْدَامُ ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَقَدْ جَرَدَهُ أَصْلُهُ مِنَ الْمَجْدِ ، فَبَقِيَ يَخَافُ مِمَّنْ رَسَخَ نَسْبُهُ وَثَبَتَ أَصْلُهُ وَفِرْعُهُ وَأَدْبُهُ وَزُرْعُهُ " . وَقَتَهَا تَذَكَّرْتُ أَنَّ مِنْ اتَّهَمَهَا جَاءَنَا لَقِيطًا مُشْرِدًا عَنِ أَهْلِهِ ، فَأَصْبَحَ كَنَبِتِ الشُّوكِ عَدِيمِ الْفَائِدَةِ ، يَخْشَى دَائِمًا لِحِظَةَ اقْتِلَاعِهِ لضعفِ جُذُورِهِ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ الْمُبَارَكَةِ ، فَتَيَقَّنْتُ بِأَنَّ الشَّمْسَ وَحَدَّهَا مِنْ فَهَمَتِ خَوْفَهُمْ مِمَّا حَبَّأَتْهُ الْمَرَايَا ..

" مأمور "

ذالك الظلُّ بدأ يُلاحقُها باستمرارٍ ، لم يكن هناك أي نورٍ - ولو لمعة لزيتٍ - ليخلقهُ ، احتارت في مصدره ، ارتعبت من تقلب اتجاهاته ، يسبقها تارةً وأخرى يطاردها، ثم يأتيها عن جنبيها، حاولت اصطياده وقنصه، أغلقت كل ما يوحى بأي قبسٍ لنورٍ، عمدت لإغماض عينيها حتى لا تراه ، سطع تحت جفنيها ، ارتجف قلبها خوفاً ، بدأت السّلام ، ابتسم ، سألته بالله الأمان والرحيل، انصاع لأمر السماء ، ووعدّها بأنّ لها لقاءً أخيراً ، ثم ارتحل ، تلك النفسُ أمدها الله بعمرٍ جديدٍ ...

" عرس بلدى "

بَدَأَتْ احتفالاتُ ذاكَ اليومِ ، عَجَّتِ القاعةُ
 بالمهنيينَ ، وتبدَّلتِ مجالسُ القومِ ، ظَنَّ الصَّغارُ اعتلاءَهُم
 للمقاعدِ الأماميةِ سَيرْفَعُ من مكانتِهِم ، غابَ كلُّ أهلِ
 العروسِ والعارفينَ لأصولِها عن الحفلِ ، جَمَعَ العريسُ*
 هداياهُ ونقوطةً ، بدأَ الحُضورُ على غيرِ العُرفِ بِتوزيعِ
 الحلوى ، ظلَّ العريسُ مُنشغلاً بالهباتِ ونسيَ عروسَتَهُ
 لتبقى مُتَّهَمَةً ومجهولةً العُذريةِ بغيرِ عادةِ القومِ...

- الأصح أن نقول العروس للذكر والأنثى لكن كتبت هنا العريس على ما تعارف عليه القوم في زماننا لتفرق الذكر عن الأنثى.

" صَفْعَةٌ "

في الليلة المنصرمة تلك تيارات فؤاده فقدت
 اتزانها ، على غير عادته بات القلق يُورِّقُ مرَّقدَهُ ،
 هواجسُ وأطيافُ مُختلفةٌ تطرُقُ بابَ فكرِهِ ، تراه بعقلٍ
 نابضٍ بالفكرِ ، وقلبٍ عاقلٍ بما يشعُرُ ، وحَظٌّ يأتيهِ على
 استحياءٍ ، يُحَادِثُ نَفْسَهُ : " شيءٌ غيرُ مسبوقٍ أفقَدَها
 حِكْمَتَها ، هي لم تكن هكذا مِن قَبْلُ " . حاولَ جمعَ الشَّمْلِ
 من جديدٍ ، تَمَنَّعتْ ، زادت سوداويةَ الحياةِ في وجهه ، لم
 تكن الأوجاعُ والهمومُ التي جعلت من فؤاده شاطئاً وحدها
 سبباً في شحوبه؛ بل لأنَّ الجُحودَ الذي صَفَعَهُ هذه المرة
 كان من أعزِّ الناسِ على قلبه ..

" إرتياح "

أثناء تأملي وتجوالي في هذا العالم قالت لي الأرض : " لا يُضيرُ الشَّمسَ بَعْضُ من الكُسوفِ ، فكم كنا نستمعُ ببعضِ نورِ مشعٍ يَنكشِفُ عَلينا في ليلِ داجٍ ".
كذلكَ كانَ حضورُ الشَّمسِ في تلكَ الساعةِ بهيًّا ، كانتَ خجولةً رغمَ نعمَتِها ، جريئةً في إشعاعِها ، تَبَسِّمُ الدُّنيا في ابتسامَتِها ، فلم يُكذِّبِ الحَظُّ في هذهِ المرةِ .

اعتادَ البدرُ أن يستمدَّ نورَهُ من نَجْمينِ ، لكن اليومَ قد لفَّ أُولاهُما الكُسوفُ ، فيما غلَّفَ الآخرَ انشطارُهُ صغيراً ممَّا سبَّبَ لَهُ القَلقَ . ومع إشراقِ هذهِ الشَّمسِ تَعانقتِ الأرواحُ وانتَقَظت من غبارِ الحُزنِ المُتراكمِ عليها من مُخلفاتِ الحياةِ البائِسةِ ، باحتِ بحريَّةٍ مُطلَقةٍ لكلِّ ما علقَ في فُؤادِها من حوادثِ الدَّهرِ ، تبادلَ الكلُّ تجربةَ الآخرِ ، لم يَكنِ للأقنعةِ وجودٌ ، فالبُوحُ من الفؤادِ تَسيدُ الموقفَ ، غرَدتِ البِلابِلُ ورقَّصتِ أغصانُ الحقيقةِ ،

قَرَّرَ الكُلُّ أَنَّ للحياةِ جانبًا من الفرحِ يمكنُ أن يعيشهُ
المرءُ، مضى الزَّمَنُ من غيرِ مؤقتٍ ، تكفَّلَ القدرُ في عقدِ
لقاءاتٍ لهذهِ الأفلاكِ السماويةِ كلما ثَقُلَتِ الرُّوحُ
بأوجاعِها، أو دَقَّ ناقوسُ البوحِ.

" عَوَاد "

عندما التَّقِيْتُهُ عَاتَبْتُهُ وَحَدَّرْتُهُ خَطَرَ السِّيَاسَةِ
والمغرياتِ ، أَخْبَرَنِي بِأَنَّهُ لَمْ يَكُن يَعْرِفُ عُمُقَ الْحِكَايَةِ ،
بِإِرَاءَةِ طِفْلِ بَدَأَ يُبْجِرُ عَلَّه يَرْسُو بِفَوَادَةَ فِي بَرِّ الْأَمَانِ ،
حَمَلَ مَا يَسْتَطِيعُ فِي فُلْكِهِ مِنْ عِلْمٍ وَخَبْرَةٍ ، سَأَلَ كُلَّ
الْعَارِفِينَ عَنْ عُمُقِ هَذَا الْبَحْرِ الَّذِي شَقَّه بِفُلْكِهِ ، رَأَى هُنَا
وَأُخْرَ هُنَاكَ ، اكْتَمَلَتْ حَيْرَتُهُ ، زَادَتْ الْمُغْرِيَاتُ أَمَامَهُ كِي
يُوَافِقَ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ ذَاكَ الْقَانُونُ ، تَرَدَّدَ ، وَذَاتَ لِقَاءٍ
دَعَانَا كِي نَتَابَعَهُ بِشَغْفٍ ، كَانِ يُرِيحُنَا بِكَلَامِهِ الْمَوْزُونِ ،
ثُمَّ سَرَعَانَ مَا صَعَقْنَا عِنْدَمَا أَدْلَى بِصَوْتِهِ مَغَايِرًا لِكُلِّ مَا
قَالَهُ لَنَا نَاطِحًا لِكُلِّ أَرَاءِ الْعَارِفِينَ خَلْفَهُ .

" يَتِيم "

بقيَ الطفلُ الذي بقلبه مُتَمَسِمًا مكانه ينتظرُ دفنًا حقيقيًا ، كَبُرَتِ الأجسادُ والمسؤولياتُ والمنجزاتُ من حوله ، صورةُ الأنتى التي قرأ عنها في الكتب لم تكتمل بعدُ ، أخبرَ طيفها أن نصيبه من الحنانِ ناقصٌ منذ صِغره ، فأُمُّه لم تلقِ له بالألأ ، فهي منشغلةٌ بأحوالِ غيره عنه ، قصصُ العشقِ التي خاضها حققت له مزيدًا من الخيباتِ ، تهيأت له عُربةٌ روحِ شريكته عنه وهي تُكثِرُ اتِّهامها له ، حتَّى في الحلمِ لا تتواتى له رؤيا كاملةٌ إلى نهايتها ، ذاكَ الطفلُ ما زالَ يُجالسُ نفسه ويعاندُ واقعه ويُظهرُ بأسه وشِدتهُ ، وعندَ أولِ استغاثةٍ من أحدهم تجده أولَ الحاضرينَ المُلبَّينَ النداءَ ، فعَجبًا لقلبه الذي بقيَ حيًّا رغمَ شِدَّةِ طَعناته المتواليَّةِ التي تعرَّضَ لها مع تهالكِ عافيته!

"بائع الحلوى"

الرَّحَى فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ لَمْ تَكُن لِأَجْلِ دَقِّ وَسْحَنِ
 الْحَبُوبِ ، بَلْ كَانَتْ مُخْتَلِفَةً تَمَامًا ، فَهِيَ مَصْنُوعَةٌ مِنْ
 الْكَلِمَاتِ الدَّافِئَةِ الْمَغْفُفَةِ بِالْحَنَانِ ، حَاوَلْتِ بِقَدْرِ قُوَّتِهَا أَنْ
 تَعِيدَ هَيْكَلَةَ حَظِّهِ مِنْ جَدِيدٍ ، ابْتَسَمَتْ لَهُ كُلُّ عَدَسَاتِ
 الْمَصُورِينَ ، خَطَّتُهُ قِصَصًا أَقْلَامٌ وَخَنَاجِرُ الْإِعْلَامِيِّينَ ،
 فَرِحَ بِالدَّعْوَةِ لِلْقَاءِ رَفِيعِ الْمُسْتَوَى ، وَهُوَ فِي طَرِيقِهِ إِلَيْهِ
 حَلَمَ بِعُرُوسٍ وَبَيْتٍ وَتَأْمِينٍ صَحِيٍّ مِنْ بَعْدِ تَوَقُّعِهِ بِوِظِيفَةٍ
 كَرِيمَةٍ دَائِمَةٍ . قَرَّرَ تَوْزِيعَ كُلِّ أَكْيَاسِ الْحَلْوَى فَرَحًا
 بِالنَّبَأِ ، وَلَكِنْ سَرَعَانَ مَا تَبَخَّرَتْ كُلُّ أَحْلَامِهِ بِالتَّوْظِيفِ ،
 لِيَعُودَ إِلَى الشَّارِعِ الَّذِي جَاءَ مِنْهُ مُحَمَّلًا بِخِيُوطِ أَكْيَاسِهِ
 الْخَاوِيَّةِ وَشَهَادَةِ شُكْرِ لِأَمَانَتِهِ وَصُورَةٍ مَعَ الْوَزِيرَةِ تَثَبَّتْ
 خَيْبَتُهُ .

"نصيب"

مع هبوب الرِّيحِ قرَّرَ ذاكَ الغريبُ تحميلَها كلَّ
أحزانه ، ظنَّ الخلاصَ منها بِبُعْدِها عَنْهُ ، ومع قوَّةِ تلكَ
الرِّيحِ وسرعةِ التفافِها حوَّلَهُ حَمَلَتْ لَهُ أوزارًا فوقَ
أوزاره ، وبعد هَدَأَتْها وجدَ نفسَهُ عائداً بأضعافِ ما كانَ
معه من وزرٍ وزيادةٍ ، وعِلِمَ وقتَها ألاَّ مناصَ ولا خَلاصَ
من قَدَرِهِ وحظِّهِ الذي خُطَّ لأجلِهِ ...

" ظُنُون "

فوق غصن شجرةٍ من سرابٍ رسمٌ بُلْبَلًا يشدُّو له
 بأعذب ألحانِهِ ، استبشَرَ بنسيمِ أنفاسٍ كانَ قد افترضَ
 وجودَها ، أشعلَ أحدَ أصابعِهِ ظنًّا منه بأنَّهُ سيجارُهُ القديمُ ،
 اتكأَ على حجرٍ اتَّخَذَهُ عرشًا له ، وصاحَ في الفراغِ علَّ
 حاشيتهُ المَزَعومةُ تأتيهِ بلذيدِ الطعامِ والشرابِ ، وبينما
 هو على حالتهِ تلكِ حتَّى جَرَفَهُ سيلُ العمرِ ولم يُعَقِّبْ له أو
 عنه من بعدهِ خبرٌ أو مُخَبِّرٌ.

" شِدَّة "

جلسَ وحرِبُ تدورُ في صدره ، يستشعرُ شدة
الوطيسِ ، رُكَّامٌ من زُكَّامٍ ومخلفاتُ تبغٍ لمن جالسهم ،
يستذكِرُ تلكَ التي كانت كقطعةِ هائجةٍ تخدِشُ في جدارِ
صدره دونما رَحمةٍ ، ومع هذا وذاك تَشْتَعِلُ عِظَامُهُ حَتَّى
تَشِيْطُ حَرارةُ الجَسَدِ المُثَقَّلِ بالألمِ ، ولا تقوى أقدامُهُ حَمْلَهُ
كما اعتادت ، الرأسُ يشتعلُ تَأْرِقًا وصداعًا ، وتتأزُرُ
جميعُ أعضائه الشعورَ بالألمِ ، حَتَّى صارَ كعودٍ ثقابٍ
مُحترِقٍ ، تناغيه وتراوده ، يَتَمَنَّعُ ، تُعيدُ الكَرَّةَ إلا أَنَّهُ بقيَ
على وجعه صابِرًا في عرينه محتسبًا أمرَهُ لله ، مُحْتَضِنًا
روحَهُ بأنفثِهِ ليعودَ الأسدُ لنشاطِهِ من جديدٍ..

" عَزِيمَة "

ذات مساء ونحن نسيرُ إليه كُنَّا نتبادلُ الحسراتِ عليه، فكانت الدهشةُ لحظة وصولنا عندما رأيناهُ كالطودِ العظيم! لم تكن هذه المرةُ الأولى التي يُخذلُ فيها ، فقد اعتادَ قلبُهُ على صفعاتِ الحظِّ ومع ذلكَ تراهُ شامخًا، حتَّى ظنَّنا أنَّ اختباراتِ الحياةِ تزدادُ كلَّ يومٍ عن سابقتها لأجله؛ كأنَّهُ يدخلُ في درجةٍ أو مرحلةٍ جديدةٍ ليسموَ أكثرَ، زدناهُ ترقُّبًا فزادنا عزمًا ، حاولنا ثنيَّهُ كي يرتاحَ من تجاذباتِ الحياةِ ونفورِها ، لكنَّهُ بقيَّ يخوضُ المعركةَ تلو الأخرى بعزيمةٍ قائدٍ جرارٍ، وكأنَّهُ قبطانُ سفينةٍ في بحرٍ هائجٍ وقد قُطعتْ أشْرِعَتْها وحُطِّمتْ مجاديفُها، سألتُهُ: "ألا تُشْفِقُ على رُوحِكَ وجَسَدِكَ المُتعبِ؟" ردَّ بابتسامةٍ : "لم نخلق للراحةِ في هذه الدنيا يا صديقي" .

زادت الحياةُ عليه سَعيرًا ، لكنَّهُ حافظَ على ما وُلِّيَ عليه بجدارةٍ عاليةٍ ، ولهذا اليومِ ما زلتُ أنهلُ من تجاربه التي اكتسبْتُها منه.

" مَسَار "

يسيرُ بلا دليلٍ، يَحْتَضِنُ عنقَ فرسهِ ويُسِرُّ لها :
 "ليست كلُّ الأمورِ كما يَجِبُ أن تكونَ ، ما زالتِ فرحتنا
 منقوصةً ، وكأنَّ القدرَ يخافُ علينا مِنَ الفرحِ الزائدِ ،
 لذلكِ يَكُوننا ببعضِ نيرانِ الحسرةِ والفقْدِ". بصهيلها كانَ
 الردُّ : " كَمَ أنتَ مَوجوعٌ أيُّها القلبُ !"

حاولَ أن يَسْتَبِيحَ بعضَ الحظِّ بأن يَشْتريَ لَهُ كأسًا من
 حُبِّ ، أو جرعةً من حنانٍ مُعْتَقٍ ، لكن هيهات هيهات ..
 فمثلُهُ لا فائدةَ مرجوةَ من إسعافِ قلبِهِ الذي تَمَّ ترقيعُ
 طعناتِهِ حتَّى تهالكتِ بُطيناتُهُ ، وبينَ شهيقٍ وزفيرٍ بقيَ
 حظهُ كَمَن ينفُخُ في قربةٍ مثقوبةٍ أو في رمادٍ.

" رَعِشَة "

في داخلِ ذاكِ السجنِ الذي تشكَّل من ضلوعِهِ ،
 ظلَّ يرقُدُ مَحْبوسًا مع كلِّ أوجاعِهِ ، تجرَّعَ كلَّ مراراتِ
 الحياةِ ، حُرِمَ من سعادةٍ كاملةٍ ، وما إن رأى بصيصَ نورٍ
 حتَّى بدأتِ الرِّيحُ تهبُّ من كلِّ صوبٍ ، تريدُ إطفاءَ ما
 تبقى له من أملٍ في الحياةِ . تقاتلت في نفسه الأحلامُ
 المتلاحقةُ ، وتيقنَ بزيادةِ الظُّلمِ فوقَ الظُّلماتِ التي تحبسُهُ ،
 ناجاها القُربَ دُونَ جَدوى ، وحدها شمسُ قلبِهِ من تمتلِكُ
 تحريره من ظلمتِهِ .

" هزيرُ العرب "

تُراوُدني الأيامُ عن نَفْسِها فَأتذكَّرُهُ ، كلِّما لآحَ ذكْرُهُ
 أو وَقَعَت عيني على رسمِهِ أُعيدُ تذكَّرَ أمْجادهِ ، رُبَّما لم
 يغادرِ بَعْدُ من رأسيَ ، رُبَّما فَقطَ يَمُرُّ باخْتِبارٍ جَديدٍ ،
 يقولُ ليَ الحَكيْمُ كلِّما رأني شارِدَ الذَّهنِ : " هذهِ الدُّنيا ما
 هي إلا دارُ اختِباراتٍ أو كما يُسميها البَعْضُ دار
 ابتلاءاتٍ ". أتَيَقِّنُ أَنَّهُ لم يسقُطَ مِن عليائِهِ التي وَسَمَ بها ،
 وحدهُ فَقطَ من قرَّرَ الهُبوطَ ، وحتَّى أَكونَ أَكثَرَ وضوحًا
 فقد لَجَأَ لهبوطٍ اضطرَّاريٍّ ..

أيُّ جدارٍ هذا الذي يَسْتندُ إليه ، طالَما كانَ واهِمًا
 في أنْ أولئك الذين وثقَ بهم سيحملونَهُ كما حَمَلَهُم لَمراتٍ
 ومراتٍ ، أو أَنَّهُم على الأقلِّ سيبرِّرونَ بعضَ أَعذارِهِم
 على استحياءٍ ، ولكنَّ الفاجِعةَ كانت أكبرَ من أنْ تُذكَرَ ،
 فقد نَصَبُوا لَهُ الفِخاخَ ليقعَ فريسةً سهلةً للعابثينَ ، ومع كلِّ

هذا هو لم يسقط ؛ بل بقي شامخاً يُعجزهم جبروتُهُ ،
وكَلَّمَا نظروا إليه شَعروا بزئيره وهيبته دُونَما حراكِ منه
أو مبادرةٍ لِنفسٍ ، فالهيبَةُ التي امتلكها لم تَوْتِ لأحدٍ سِواه ،
ولليوم بقيت هيبَتُهُ تُصيِّبُهُم بالذُّعرِ بعد سنواتٍ عِجافٍ من
وداعهِ للحياة .

" ندم "

بأنفاسٍ حارةٍ كانت تحسبُ دقائق قلبه ، هي لا
تعرفُ ميقاتاً غير نبضه ، ومن غيرِ سابقِ إنذارٍ أخبرتهُ
أنها لا تُحبُّه ، فجأةً غاب القمرُ عن ناظريها ، وأظلمت
السماءُ مُدلهمةً ومُوحشةً ، وتوقفَ الكونُ من حولها عن
الدورانِ ، حاولتِ إنعاشَ قلبه من جديدٍ ، لكنَّ رصاصتها
التي أطلقتها من فمها كانت الأسرعَ لقلبه.. فعلمت وقتها
ألا مزاح مع الموت!

"بوح"

تبلورتِ الفكرةُ في صدره ، قَدَّتْ ما تبقى له من
 خبايا ، فَتَكَتْ بإزارِ البلاغةِ ، وعندَ أولِ ولادةِ لجملةِ
 البوحِ ، فاجأَتْهُ بحصرِ جُمَلَتِهِ بين علامتي الترقيمِ
 المعترضَةِ ، ثمَّ تَرَكَتُهُ وارتَحَلَتْ ، من غيرِ أنْ تضعَ نقطةً
 للنهايةِ، ليعودَ إلى الضياعِ...

" تقرير ثقافي "

في الوسط ذاته تاهت الحكاية ، وبين كر وفر
 كان دُعاء الصداقة أكثر إيلاماً له من أعداء النجاح ،
 التلوث السَّمعي لم يكن فقط للأذن فحسب ، بل تعداه إلى
 القلب، قلب قد امتلأ غيظاً دون وجهة حق ، المنافقون
 وأهل الوجوه المتعددة يُتقنون مثل هذه الفنون - فنون
 الخبائة - صديقي الذي ظننته أخالي كان يرمي أدنه
 وقلبه للواشين ليعبثوا به . أخبرتني جدتي بأن كثرة
 الحساد تُعكّر صفو الأخوة والصداقة . في جلساتنا
 الخاصة أخبرني أنه يعرف أنني لست ساعياً أو لاهئاً
 خلف المال كما يلهت غيري . ولكن اليوم تعز علي
 عشرة صديقي ولقمة هنيئة كنا نجتمع عليها بجيب واحدة
 -لا خلاف بيننا فكلانا يتسابق لدفع الحساب - كان الهدف
 أن نلتقي ونتحدث معاً ، نناقش أمور الوسط

بابتساماتٍ متبادلةٍ وقلوبٍ صافيةٍ ، كم تحدّثنا : "هنا أخفق فلانٌ وهنا كان رائعا ، وذلك الآخرُ يجتهدُ ويحتاجُ العونَ...". . نقاشاتٌ شبيهةٌ يوميةٍ ، اعتدنا الجلوسَ معًا ورفقتنا كانت أكثرَ من رائعةٍ ، لكنّ لم ترقُ للبعضِ فحاولوا إفسادها ، كان أسرعَ مني في الإقبالِ على الأعمالِ التي أسعى لتنفيذها ، واليومَ أستغربُ من كثرةِ العراقيّ التي تتدقُّ في طريقِ معاملاتي ، كلُّ هذا لا يؤلمني كما ألمني تحوُّلُ صديقي الذي ظننته أخي عن دربِ أخوتنا وعندَ أولِ عيدٍ ثقافيٍّ لم يجد كبشًا مثلي للوليمةِ التي حضرَها لهم ..

"حيُّ القراصنة"

خلال مروري بإحدى المناطق المتعفنة السمعة والصيت وجدتُ ذاكرةً لدماغٍ لا زالَ يصدِّعُ بحياةٍ ، نظرتُ في الذاكرة ووجدت فيها حكايا مثقلةً بالأحداث . رأيتُ فيها رجلاً باعَ نصفهُ السفلي للشيطان ، وشاباً سلبَ أمَّهُ حليَّها ومُجوهراتها ليُهْلِكَ نفسَهُ بتعاطي المُخدراتِ ، و أذهلتني فتاةٌ اتَّجرتَ بِجمالها لتقعَ في مصيدةٍ مُحامٍ لم يَرَحِمَ خدرها ، ورَوَّعني شيخٌ اشترى دُنياهُ بأخرته طمعاً في السلطة ، وأبكاني صَبِيٌّ مشردٌ لم يجد القدوةَ فيمن حوله فقلَّدهم جميعهم ، وأمُّ لا تُتقِنُ إلا الشكوى والدعاءَ على أبنائها بالهلاكِ ، ونأسيْتُ بحقيبةٍ وكفنٍ قد ابتاعتهما تلكَ الجدةُ ليومها الموعودِ واتَّخذتهما مُتَكأً حتى لا تُسَلَبَ هي الأخرى ، وأزعجني مذياعٌ قديمٌ لا ينقلُ إلا أخبارَ الزلازلِ والحروبِ والأوبئةِ والدمارِ ، وتأمَلتُ صورةَ ذاكَ الرجلِ الطاعنِ في السنِ وقد شابَ على ما شبَّ عليه

وقد جرَّبَ كلَّ أنواعِ الجرائمِ ، ومَعَ كلِّ هذهِ المشاهدِ
ازدريتُ رائحةً نتانةً دمِ صاحبِ الدماغِ المخمورِ وقد
قرَّرَ التخلُّصَ منهم جميعاً بأنِ وَضَعَ رصاصتهِ الأخيرةَ
في قلبه وارتحلَّ.

" رحلة "

سيمفونية ليلته هذه مختلفة ، تجول بكلّ أماكن
 اللهو وكفر بها، وخلص إلى ضيافة لم تسبق له ، فليلاً
 واحدة تقضيها بينهم كافية لأن تغير مجرى حياتك .
 لطالما كانت مجاورة الأحياء هي المراد ، ولكن هيهات
 هيهات أن تعادل لحظة واحدة تقضيها بين القبور .

عند الساعة الثانية بعد منتصف الليل ركب سيارته
 والحيرة تملأ قلبه بأي اتجاه سينتهي به المطاف ، كل
 من كان يعتقدهم أحياء ومن المقربين حوله بدوا له كأنهم
 الأموات الحقيقيون ، قصد سبيله وكان أكثر حيرة من
 موسى برفقة الخضر _ عليهما السلام _ شارع هنا
 وأزقة هناك تناديه وهو بلا وعي ، فقد جافاه الحظ .
 يتابع نشرة خيالاته اللامتناهية ، يسرّح الفكر إلى أين
 سيكون ملجأه ، تراءت له تلك البوابة المحملة بحكايات

وهموم المارينَ بها ، يا إلهي ، أَكُلُّ هؤُلاءِ زوارٍ لها ،
وتمنحهم إقاماتٍ أبديةً!

توقفت المركبةُ المخدوشُ وجهُها هُنا ، تأمَّلهم حيثُ
الكلُّ سواسيةً ، لا فرقَ بين أيِّ صنِفٍ من صنوفِ ذاكِ
المنتجِ المسمى إنسان ، ترَجَّلَ ، اتكأَ على أحدِ الشواهدِ ،
قرأ كلَّ العباراتِ ، دعا لهم بالرحمةِ والمغفرةِ ، أحسَّ
ببعضِ الخوفِ مع ذاكِ الظلامِ الدامِسِ ، صاحَ بهم :
"كيف أنتم ؟ هل من مجيب ؟" وسرعان ما تهَيَّأَ له بشرٌ
إنسيُّ ، ثمَّ خاطَبَهُ : " تعالِ إلى جوارِي ، هنا ستجدُ
ضالتك ... هنا مقصدك ... هنا الحياة! تعالِ وأفرغِ كلَّ
همومك وأوزاركِ ، لا تحاولِ أن تنظُرَ خلفك ، هنا لا
أحدٌ يريدُ لكِ إلا الخيرَ... " فجأةً وقبل بزوغِ الفجرِ
وانتهاءِ الزيارةِ .. استفاقَ من غفلتهِ مذعورًا محدثًا نفسه:
"كيف لمثلِ هذهِ الليلةِ من ليالِ العمرِ أن يتم نسيانها ؟ وكم
غافلٍ يحتاج لمثلِ هذهِ الرحلة!"

" مَوْعِظَةٌ "

في القاعةِ المُتذبذبةِ كَألسِنَتِهِمِ المَنافِقَةِ كَأنتِ تُعائِنُهُ ،
 عيونُهُمِ غيرُ البريئةِ تحاولُ إطفاءَ نورِ قلبِهِ ، نُصبُ جنديِّ
 الكرامةِ كَأنتِ أَيْضًا تَرصدُ ما يعترِيهِ من مشاعرٍ صادقةٍ
 وتبادلُهُ فخرًا بفخرٍ ، بعضُ دروعِ الغائبينَ عن الحفلِ
 كانتِ تبتَسِمُ من غيرِ براءةٍ ، قالها معلمي : "الكرامةُ أن
 تكونَ شامخًا كالصقرِ ، هزبرًا يَخشاهُ الحاسِدونَ وَيَحجُجُ
 لروحِهِ الطيبونَ ". ذاكَ الصديقُ الغائبُ كانَ يُتابعُ البَثَّ
 المباشرَ بدقةٍ مُتناهيةٍ ، فهو يَعلمُ أَنَّ الإصرارَ على النجاحِ
 لا بديلَ عنهُ عندَ قُبطانِ هذا المركبِ ، بدأتِ الاحتفاليَّةُ
 كُلُّهُمِ شاعرٌ مِغوارٌ ، كُلُّهُمِ يَحْمِلُ نبوءَةَ الشَّعرِ ، ويلهَمُ
 وحيَّ الإبداعِ على الاستمرارِ في مهماتِهِ ، جَفافُ العاطفةِ
 الصَّادقةِ كانَ واضحا رِغمَ قوَّةِ كلماتِ الغزلِ وأخيلَتِهِ ،
 وحدهُ الوَطَنُ الذي استأسَدَ بصدقِ المشاعرِ نحوَهُ من غيرِ
 تملقٍ ، بقِيَتِ صديقَتُهُ تبتَسِمُ ، والشَّاعرُ يَشيرُ بابتساماتِهِ

نحوها - هو كعاداته يصطادُ غزالة أو اثنتين أو أكثرَ مع كلِّ قصيدةٍ غزليٍّ - "إربدُ عاصمةً للثقافة العربية وكذا عاصمةً للجمالِ اللامتناهي الأبدِيّ". هكذا سمعتُ الدنجوانَ يقولُ، فمدعي الصداقةِ يصنعُ تمثالاً من كذبٍ وزيفٍ، الأعمى ظلُّ يُراقبُ الجميعَ ، والغائبونَ يعقدونَ لقاءاتٍ ربّما كانت بريئةً ، شيخُ المثقفينَ همسَ لي : " هذا الموسمُ استثناءٌ ، الدروسُ المستفادةُ منه يجبُ أن تُكتبَ بماءِ الذهبِ ". وحده كان بريئاً من كلِّ ما يُحاكُّ من صفقاتٍ حوله .

" فائنة "

لم تكن المرة الأولى التي يُسرقُ فيها قلبُهُ ، ولم يتَّعِظَ رغمَ شدةِ جراحهِ ونزفِهِ ، ولم تَسْتحي عينُهُ من توريطِهِ ، فمَنْذُ أولِ نظرةٍ لتلكِ الحسناءِ سَقَطَ في شباكِها..

في ذاكِ المكانِ المليءِ بالنفاقِ والرياءِ والكذبِ على سبيلِ المجاملةِ وجدها جالِسةً ، تبادلًا النظرَةَ وكأَنَّ أحدهما يطلبُ الآخرَ ويعلنُ حاجتَهُ لَهُ ، استرقا النظرَ تكرارًا ، وتبادلًا بعضَ كلماتٍ روتينيةٍ مُهذبةٍ ، أكملَ عملهُ وغادرَ كلَّهُ إلا قلبَهُ الذي بقيَ لها حارسًا ، حاولَ أن يَنسى ذاكِ اللقاءَ السريعَ ، ولكنَّها كانتَ تَعُدو وتأتي في عقلِهِ باستمرارٍ ، ابتسامتُها كانتَ لَهُ سجنًا ، وصوتُها كان مبعثًا لِسَكينةٍ مزعومةٍ - ذاكِ الجسدُ الممشوقُ يعطي دروسًا في فنونِ الغوايةِ - بقي يحاولُ نسيانها إلا

أنَّهُ كَلَّمَا زَارَ ذَاكَ الْمَكَانَ لِقَضَاءِ عَمَلٍ مَا زَارَ قَلْبُهُ شَوْقًا ،
وَانْتَحَبَ جِرَاءَ الْبَعْدِ ، ثُمَّ مَا إِنْ وَجَدَهَا حَتَّى بَانَتَ عَلَيْهِ
الْلهْفَةُ ، وَدَفَعَتْهُ الْأَشْوَاقُ دُونَمَا تَفْكِيرٍ لِأَنَّ يَهْمِسَ فِي
أُذُنَيْهَا: "أَحْبُكِ" . وَقَدْ أَغْلِقَ عَقْلَهُ ، هِيَ الْأُخْرَى ثَارَتْ
فِتْنَةٌ رَغِبَتْهَا لِلْحَبِيبِ ، وَالتَّهَمَّتْ قَلْبَهُ وَرَوْحَهُ وَكُلَّ
جَوَارِحِهِ ، بَابْتِسَامَةٍ وَنَظْرَةٍ تُخْبِرُهُ بِأَنَّهَا كَذَلِكَ تُحِبُّهُ ،
فَكَانَتْ تِلْكَ آخِرَ أَيَّامِ وَلايَتِهِ وَمُلْكِهِ ، وَصَارَ سَجِينُهَا الَّذِي
تُفَنَّنَتْ فِي إِشْعَالِ فِتْنِيلِ قَلْبِهِ ، وَكَلَّمَا احْتَاجَتْ شَيْئًا شَدَّتْهُ
بِفِتْنَتِهَا لِيَتَقَمَّصَ دُونَ مَارِدِ الْمَصْبَاحِ وَيَلْبِي لَهَا طَلِبَهَا ،
فِيَمَا تَتَفَرَّغُ هِيَ لِسَجِينٍ جَدِيدٍ يَقَعُ تَحْتَ سُلْطَةِ فِتْنَتِهَا كِي
تَأْسِرَهُ .

" واقع "

مسكتُ يَدَ الحقيقةِ ، شددتُّها نحوي ، حاولتُ
 الإفلاتَ احتضنتُّها ، بكَّتُ من قسوةِ الواقعِ ، حاولتُ
 التخفيفَ عنها ، راوغتني واستعطفتني ، ثمَّ ما إن
 وعدتني بالبقاءِ حتَّى أفلتُها ، فهربت وبقِيَ الزيفُ سيداً
 لكلِّ موقفٍ .

" وسواس "

حَتَّى تَرْتَرَةَ النِّسَاءِ وَنَمِيمَتُهُنَّ لَمْ تَسَلِّمْ مِنْهُ ، اتَّخَذَ
 كُلَّ مَا يَسْتَطِيعُهُ مِنْ وَسَائِلَ _ قَذْرَةً كَانَتْ أُمَّ لَطِيفَةً _
 لَتَسْوِيعٍ وَتَمْرِيرٍ مَا يَرِيدُ ، لَمْ يَدْعُ مَرَكِبًا سَائِرًا إِلَّا وَعَقْرَهُ ،
 فَعَلَّ زَبَانِيَّتَهُ لِيَفْرُقُوا الْجَمَاعَاتِ مِنْ حَوْلِهِ خَوْفًا مِنْ
 تَعْصِبِهِمْ عَلَيْهِ ، حَزَبَهُمْ فِي فَنَاتٍ ضَيِّقَةٍ ، أَغْرَاهُمْ بَعْرَضٍ
 مِنَ الدُّنْيَا ، حَتَّى أَفْهَمَ خَنَازِيرَهُمْ بِأَنَّهُمْ سَادَةُ الْغَابِ ،
 وَبَقِيَتِ الْأَسْوَدُ فِي عَرِينِهَا تَتَرَفَّعُ عَنِ الْمَسْتَنْقَعَاتِ ، وَحَدَّهَا
 الضَّبَّاعُ مِنْ تَبَعَتِ حُكْمَهُ وَسَيَادَتَهُ .

" شَفَاعَة "

وُلِدَ مُتَخَنًا بِالْمَالِ وَالجَاهِ ، عاشَ حَيَاتَهُ دُونَ حِسَابٍ
لِآخِرَتِهِ ، عِنْدَ أَوَّلِ شَهْقَةٍ تَذَكَّرَ مَا عَلَيْهِ مِنْ حَقُوقٍ لِلْعِبَادِ ،
تَأَمَّلَ مَلِكَ الْمَوْتِ ، ارْتَجَى مِنْهُ إِمْهَالَهُ لِسَاعَةٍ أَوْ حَتَّى دَقِيقَةٍ
وَاحِدَةٍ يَعِيدُ بِهَا الْحَقَّ لِأَهْلِهِ لَكِنْ هَيَّهَاتَ ، فَمُوعِدُ الْقَطَافِ
لِرُوحِهِ قَدْ حَانَ ، لَمْ يَبْقَ فِي الْعَمْرِ ثَوَانٍ ، الْمَالُ كُلُّهُ
سَيَتَقَاسَمُهُ الْوَارِثُونَ مِنْ بَعْدِهِ ، وَوَزُرُ مَا اقْتَرَفَ سَيَحِلُّ
اللَعْنَةُ عَلَيْهِ وَحَدَهُ ، بَدَأَتِ الشَّهْقَةُ الثَّانِيَةُ وَالْأَخِيرَةُ ، سَمِعَهُمْ
مِنْ حَوْلِهِ يُولُؤُونَ عَلَيْهِ ، يَحْزَنُونَ لِسَاعَاتٍ أَوْ لِأَيَّامٍ
مَعْدُودَاتٍ ثُمَّ يَعُودُونَ لِتَقْطِيعِ التَّرِكَةِ ، عَشِيقَتُهُ دُنْيَا تَنْكَرَتْ
لَهُ لِتَرَاوَدَ غَيْرَهُ عَنْ نَفْسِهِ ، الْمُعَزَّوْنَ نَافَقُوا مَجَامِلِينَ أَهْلَهُ
بَعْدَمَا لَاقَتْ سَرَائِهِمْ لِحَمَّةٍ ، قُصُورُهُ الْمَشِيدَةُ لَمْ تَشْفَعْ
لِقُصُورِ عَمَلِهِ ، فَكُلُّ مَا فَعَلَهُ جَاءَ لِيَشْهَدَ عَلَيْهِ ، وَحَدَهُ
الْيَتِيمُ الْمُعْدَمُ الَّذِي كَفَلَهُ ذَاتَ يَوْمٍ مَسْغِبَةٍ مِنْ فَتْحِ بَابِ
الشَّفَاعَةِ وَالرَّحْمَةِ لَهُ لِيُنْجِيَهُ ...

" فُقد "

ذات مساءً غادرني عقلي ليتقصى أخبارَ قلبي
الذي هجرنا منذُ سنين ، جلستُ وحيداً أراقبُ ظلِّي ،
تفاجأتُ بأنَّهُ لا يوازيني ، فُضولي ودَهشتي بددا صبري ،
مجموعةً من الأسئلة تُبصرُها عيني ، ثرثرةُ لساني لم
تهدأ ، وأنا ما زلتُ كذلك لا قلب يُسعفني بإحساسه ، ولا
عقل يفسرُ لي كلَّ ما رأيتُ ، ذلك الصراعُ الذي يدورُ
بين جسدي وظلي غريبٌ ، رأيتُ ظلِّي يطعنُ صدري ،
وجسدي يتكئُ على رأسي باحثاً عن هدايةٍ ، كان ظلِّي
أشبهَ بظلِّ تلك التي ارتحلَ معها قلبي ، فظلُّ شِعْرِها
المسدولِ كأواجٍ متلاطمةٍ ، والسكينُ يغازلُ أناملَ كَفِّها
وقد احتضنتها برفقٍ ، حاولتُ أن أقترَبَ من ذي الظلِّ
عَلَّني أحتضِنهُ ، وما إن وصلتُ إليه حتى تلبَّسني ليفرَّغَ
ما بنا من شوقٍ ، وبعدَ طولِ عناقٍ وجددتني وحيداً بلا
فؤاد وقد التحقتُ رُوحِي بقلبي وعقلي .. ولم يبقَ مني إلا

صلصالُ جسدي وسكينُها المغروسةُ فيه ليكونَ عبْرَةً
للعاشقينَ.

" إزراء "

على باب القاعة ذكرُ أخرقُ يتابع حرّكاتي ،
يرصدني بعينين تخلوان من البراءة ، في قامته طولٌ
يشبه زجاجة فارغة من مشروبها وقد استخدمها أحدُ
الأطفال للتبول ، وبوجهه المائل ندبة وكأنها وشمٌ ليس
متوحشٍ . وقفتُ وابتسمتُ للفيلم الذي يُعرض فلم أجد
حضوراً صامتاً ومُستمتعاً بالعرض كهذه الكراسي
الفارغة من أيّ زائرٍ ولو على سبيل الارتياح ، تفهّرتُ
في مشيتي وعدتُ أدراجي فإذا بذاتِ الذكرِ وقد بدا لسانه
كلسانِ جذائي الذي قطعته لطوله غير المُحبّب يتقيح من
فمه الصديدِ النتن بعدما فكّ ما يضبطه من رباطٍ ، ثمّ
لتميل رقبته التي عافت ثقل ما يحمل من عفانة ما في
رأسه ، نظرتُ إليه بابتسامةٍ وقلتُ له : " عد إلى مُعلّمك
وأخبره أنّي منذ زمنٍ طويلٍ هجرتُ الأحذية ذاتِ اللسانِ
الطويل " .

" إنتهازي "

استوفتُه حقَّه ، رفعت شأنه ، لامها الكثيرون
 فيه، صمّت عن كلامهم ، تعاهدا الوفاء ، بذلت لأجله
 الغالي والنفيس ، اتّخذتُه عَضدًا لها وسندا ، وعند أول
 اختبارٍ له باعها ، سقطت هيبته وخلع ثوبه ليتعرّى أمام
 شيكّ المستفيد الأول ..

" تماثل "

عند الصباح بئتهُ أحزانها : بُوسها وشقاءها ،
 عند المساء زارت قلبه تشكو له ظلم الأعبة : جورهم
 وسلبهم لها حقها ، أشفق عليها واحتواها ، اقتطع لها من
 قلبه موضعاً نفيساً ، وأضاء لها عتمةً دربها ، وما إن
 جاء اليوم التالي حتى وجدها عادت لتدنو من عباتهم
 الزائفة ، وقد تنكرت له ، فتيقن بأنها كانت كالإسرائيلي
 الذي انتصر له موسى ...

" مَسْؤُول "

سهرَ الأديبُ ليالٍ لإنجاحِ الحفلِ ، دعا مسؤولاً رفيعَ الشأنِ احتراماً للمشاركينَ ، فوقَ منصةِ التكريمِ خرجَ ضيفُ الحفلِ بطلَّتهِ البهيَّةِ ، صفَّقَ له الجمهورُ بحرارةٍ وإعجابٍ ، أوماً بالشكرِ للجمهورِ بنظرةٍ عليَّةٍ ، أدارَ ظهرهُ للقائمينَ على الحفلِ وبدأ يُوزِّعُ التكريماتِ بحرارةٍ ، أوصى المصوِّرينَ باختيارِ اللقطاتِ التي تليقُ بمركزه ، وقبلَ أن يُغادرَ الحفلَ أوصى القائمينَ بتفاديِ التقصيرِ في المراتِ القادمةِ ، مُنَّوِّهاً لوقتهِ الثمينِ الذي نَزَفَهُ لإنجاحِ الحفلِ ، هارباً ممَّا كانَ قد وَعَدَّ بهِ من دعمِ ماديٍّ أمامَ الجمهورِ للقائمينَ على الحفلِ.

" وَحْش "

رَقَدَ الشَّيْخُ الصَّيِّدُ لِيَسْتَرِيحَ مِنْ عَنَاءِ الطَّرِيقِ ،
 غَاذَلَتْهُ عَلَى الرِّصِيفِ زَهْرَةٌ تَشْقُ طَرِيقَهَا نَحْوَ الْحَيَاةِ ،
 وَتَتَغَمَّسُ بِكُلِّ مَفَاتِنِ الْجَمَالِ ، تَبْتُ شَذَاهَا الْفَوَاحَ عَلَى مِنْ
 حَوْلِهَا ، رَأَاهَا وَهِيَ تَسْتَحِمُّ بِالْغَدَى ، سَقَطَتْ نَفْسُهُ وَنَزَفَتْ
 دِنَاءَتَهَا ، غَمَزَهَا ثُمَّ لَمَزَهَا ثُمَّ زَادَتْ وَحْشِيَّتُهَا نَحْوَهَا
 بِحُجَّةِ الْمُسَاعَدَةِ عَلَى قِسَاوَةِ ظُرُوفِهَا ، أَفْرَعَّ حَيَوَانِيَّتَهُ
 فِي خَدْرِهَا الشَّفِيفِ ، ثُمَّ حَمَلَ عِبَاءَتَهُ الزَّائِفَةَ تَارِكًا لَهَا
 بَضْعَ الدَّنَائِيرِ الْمَلْعُونَةِ وَمَا نَتَقَتْهُ مِنْ لِحِيَتِهِ الشَّيْطَانِيَّةِ
 وَهَرَبَ .

" كِفاح "

جلس الأبُّ في زاويةِ الحكايةِ يتأمَّلُ لحظةَ
السكونِ التي تفتَحُ خلوتَهُ مُتذمِّرةً ، اعتلتهُ مشاعرُ
متضاربة ، يشمئزُّ من نفسه ، بدأت يدهُ تحطُّمُ قلبه ، لم
يعد يملكُ أعصابه ، هو يعلمُ جيدًا أنه يُجاهدُ روحه ،
فلذاتُ كبده يكرِّرونَ الخطأَ ذاته ، زوجته تُوسعه اللومَ ،
يحملهُ الغضبُ إلى ما لا يُحبُّ ، تخونهُ الحكمةُ ، تذرفُ
عينهُ العبراتِ كلِّما لامست يدهُ جسدَ أولاده بعنفٍ ،
جميعهم يتشاركونَ في وأدِ السكينةِ ، ليعلو صوتُ الندمِ...

" سينما "

أثناء التجول المرئي للأسد في مسلسل مزرعة المنافقين استوقفه مشهد ذلك الحمار الذي ولي شأنًا ليس أهلاً له ، وقد اتخذ له نصيبًا من خزينة المشروع الذي تولاّه ليستأنس بفرقة من الحمام والغربان حوله ، فلم يُر منه إلا خروجه إلى المنصة دون أي نهيقي ، ثم التنقل من وليمة إلى وليمة ، وأثناء التقلب للمشهد التالي ناظر الأسد ضحكات الثعلب المشبع بالخبث وقد تولى الإدارة الرسمية للتوصيات والتشريعات الناظمة للصرف ، بعدما عمل على مبدأ "فرق تسد" يجتهد بأن يجمع حوله بعض الضباع المتنفعين ليكونوا طوع أمره ، محاولاً إطفاء نجم الفهود والآساد عن المسرح . ابتعد الأسد عن المشهد ليسترخ فإذا بصوتٍ يجهر في أذنه ، إنه ذات الديك الذي كان ذات يومٍ في حديقته ، بات اليوم يبيع صوته وشدوه صبح مساءً حتى لو صاح في مزبلة ، نال

الأسدُ بعضَ الغضبِ ممزوجًا بالحسرة ؛ صارَ كلُّ روادِ
الغابةِ تاجرًا أو انتهازيًا أو منافقًا ، حتَّى ذلكَ البومُ الذي
ظنَّ نفسهُ حكيماً نالَهُ من الخُسْرِ ما لا يَقلُّ وزرًا عنهُم ،
تأسَّى الأسدُ للحالِ ثمَّ قالَ في قرارةِ نفسهِ : " هو عامُّ
النفاقِ وينتهي بانتهاءِ مصالحِهِم المشتركةِ لئطْفَأَ
مصابيحُهُم المزعومةُ من جديدٍ وتعودُ النجومُ مشرقةً كما
اعتادت في هذا السكونِ الفسيحِ ..

" مُسْتَعْمِر "

اجتَمَعَت الضبَاعُ فِي وَكْرٍ ذَاكَ الْغَرِيبِ عَنِ
 غَابَتِهِمْ، قَعَقَعُوا لَهُ بِأَعْلَى صَوْتٍ ، كُلُّهُمْ جِلْدَ الْهَزْبِرَ وَتَنَكَّرَ
 لَهُ ، طَمِعُوا بِبَقَايَا الْجَيْفِ الَّتِي قَاسَمَهُمْ إِيَّاهَا ، اقْتَنَعُوا بِأَنَّهُ
 الطَّاعِمُ الْكَاسِي ، نَسُوا اللَّهَ فَأَنَسَاهُمْ كَرَامَتَهُمْ، وَعِنْدَ أَوَّلِ
 غَزْوٍ تَرَكَهُمْ يُصَارِعُونَ حَتْفَهُمْ وَارْتَحَلَ بَعْدَمَا فَرَّقَهُمْ عَنِ
 قَائِدِهِمْ وَقَدْ جَرَّدَهُمْ مِنْ كُلِّ خُلُقٍ رَزِينٍ ..

"سياسة"

في صحراء بعيدة زمن دولة الصعاليك ولد بغلٌ لمهرة أصيلةٍ وحمارٍ، لعبَ القدرُ معه وازدانَ حظُّهُ بالمنصبِ الجديدِ، هو لم يكن بالأكفأ ولا بالأجدرِ، فالمناصبُ في غابتهم توزَّعُ حسبَ الفصائلِ والمحاصصةِ، رغمَ أنَّ العديدَ من الفصائلِ أفضلُ من مجموعتهِ المتشردمةِ تلكِ، إلا أنَّ الأخرى مسالمةٌ ووطنيةٌ حدَّ النخاعِ، وعشيرتهُ تلتهمُ المناصبَ كالتهامها للوطنِ وخيراته، ففي أقلِّ من يومين من تعيين مديرٍ كفاءٍ من غير فصيلةٍ لإحدى الدوائر مكانَ ابنِ عشيرتهِ حتَّى ثارت ثورتهم وانهالت اتصالاتهم، ليكونَ ذاكَ الغريبُ متسلقًا لمنصبٍ يكبره وزناً وقيمةً، متجاوزين كلَّ أهلِ الخبرةِ والاختصاصِ من ذوي الأحقية الكاملةِ، مُتسلحًا بالمحسوبيةِ وسلطةِ المُتنفعينَ من عشيرتهِ، وليهدمَ مجدَّ خؤولتهِ بكلِّ ما أوتيَ من سلطةٍ خوفًا على عرشه .

" تَوَقِيع "

في الحفلِ الأدبيِّ الأَجْمَلِ ، برعَ المقدمُ وفرَدَ ريشَ
الكلامِ بأجْمَلِ الألوانِ ، اجتهدَ الناقدُ في عكسِ الصورِ
الأدبيَّةِ على قلوبِ المتلقينَ ، الروائيُّ بيَّنَ كُنُوزَ السَّرْدِ
الدفينِ بينَ دفتي الكتابِ ، وصاحبُ الشَّعرِ تَرَقَّرَقَتِ أمامَهُ
كيميائيَّةُ النَّصِّ وتفاعلاتِهِ مع الروحِ ، والكاتبُ أبدى
حُجَّتَهُ وسطَ تصفيقِ الجمهورِ وإعجابِهِ ، المُلحِّنُ زَفَّ
مولدَ الكِتَابِ والكَاتِبِ ، وحدها الزهورُ كانت غَريبةً
وَوَأدَتِ الفَرَحَ بسببِ ما أبتليتِ به من سوءِ الظنِّ ..

" زرع "

في قعر القلب سَقَطَتْ بذرةُ حُبِّ ، اسنَقَّت مِن
 دماءِ الشوقِ النازِفِ ، وتَرَعَرَعَت بِرِغَدٍ يُدَغِدُغُهَا الحَنِينُ ،
 وما إن كَبُرَت وَنَمَت حَتَّى جَاءَ طَائِرُ الحِظِّ لِيخِطِفَهَا ،
 ومنذُ لحظةِ اِقْتِلاعِها وأَرْضُ القلبِ تَزُمُّ دِماءَها حُزْناً دُونَ
 توقِفٍ ...

" حَالِم "

عند ساعة الصفر المتفقِ عليها سابقًا ، ذكرَ الله
ونطقَ بالشهادتين ، ودَّعَ بنِيهِ عبرَ الصورةِ التي يَحْمِلُهَا
في جيبِهِ ، ذرَفَ الدَّمْعَ لِأَنَّهُ لَمْ يَتِمَكَّنْ مِنْ ودَاعِ وَالِدِيهِ
والتماسِ الرِّضَا مِنْهُمَا ، تَأَكَّدَ مِنْ أَنَّهُ فِي مَكَانِهِ الصَّحِيحِ ،
تَأَمَّلَ الجَنَّةَ التي يَقْصِدُهَا وَنَعِيمَهَا ، تَحَمَّسَ لِيَكُونَ فِي
صُفُوفِ الشَّهَدَاءِ وَالصَّدِيقِينَ ، وَوَسَطَ أُسْطُولِ دَبَابَاتِ
العَدُوِّ ضَغَطَ عَلَى زُرِّ الخَلَاصِ ، لِيُضِيءَ عَتَمَةَ العُرْفَةِ ثُمَّ
يَسْتَيْقِظُ مِنْ نَوْمِهِ وَغَفْلَتِهِ ..

" قِرَاءَةٌ "

في كَفِّهَا الْمُخَضَّبِ تَبَدُّأُ حِكَايَتِهَا ، حَاوَلْتُ تَشْوِيَةَ
 خَطِّ الْعَمْرِ الَّذِي أَخْبَرْتَنِي الْعِرَافَةُ بِامْتِدَادِهِ ، بَيَّضْتُ فَالَهَا
 بِخَطِّ السَّعَادَةِ الْمَزْعُومِ ، حَاوَلْتُ بِكُلِّ مَا أُوتِيَتْ مِنْ حُبِّ
 إِخْفَاءِ تَعَاسَتِهَا عَنِّي ، فَتَقَّتْ خَطَّ الصِّحَةِ الْمَتَاكَلِ بِحِجَةِ
 ضَرْبَةٍ سَكِينٍ أَثْنَاءَ تَقْطِيعِهَا لِلْحَمِ الَّذِي لَمْ تَلْتَقِيهِ إِلَّا فِي
 الْمَوَاسِمِ ، وَسَدَّتْ يَدَهَا لِحَدِيٍّ ؛ لَتُبْتِئِي الْفَرَحَ الَّذِي بَقِيَتْ
 تَتَخَيَّلُهُ طَوَالَ فِتْرَةِ حَيَاتِهَا ، احْتَضَنْتَنِي وَتَبَسَّمَتْ لِأَكُونَ
 الرُّوِيَّةَ الَّتِي تُودِّعُ بِهَا الدُّنْيَا قَبْلَ أَنْ تَرْحَلَ أَنْفَاسُهَا إِلَى
 غَيْرِ عَوْدَةٍ...

" خَفَايَا "

دَخَلْتُ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ لِمَكْتَبَةٍ غَرِيبَةٍ ، تَأَمَّلْتُ الْعَدِيدَ
 مِنَ الْحِكَايَاتِ وَالْقَصَصِ ، وَوَجَدْتُ فِي مُجْمَلِهَا أَنَّ
 الْعَرَصَ الْمُدَبَّرَ لِكُلِّ الْأُمُورِ يَتَوَارَى ، وَيُظْهِرُ عَلَيْنَا بَطْلًا
 مَزْعُومًا يَحْرِّكُهُ كَيْفَمَا شَاءَ ، وَبَعْدَمَا يَجْعَلُهُ يَمْتَلِي بِالْغُرُورِ
 وَيُصَدِّقُ بِأَنَّهُ الْبَطْلُ الْحَقِيقِيُّ تَبْدَأُ مُعَانَاتُهُ ، فَيَشُدُّ وَثَاقَهُ
 عَلَى عُنُقِهِ بِيَدِهِ ، وَبَعْدَ اشْتِدَادِ الْعُقْدَةِ ، يَأْتِي الْخَلَاصُ
 بِالْحَلِّ الَّذِي يَكُونُ بِمَوْتِ الْبَطْلِ الْمَزْعُومِ ، لِيَعُودَ الْعَرَصُ
 مَرَّةً أُخْرَى لِصَنْعِ مُؤَامَرَةٍ جَدِيدَةٍ بَعْدَمَا يُغَرَّرُ بِفَرِيستِهِ
 الْجَدِيدَةِ لِلْعَبِّ دُورِ الْبَطْلِ مِنْ جَدِيدٍ..

" غَوَايَة "

يتأمل الصورة المعلقة على جدار القلب ، يُقارِنُها
بتلك الحسنة التي طارَدَتْها عيناُه ، تزدادُ دقاتُ قلبه
وتتمرّدُ على رَزَانَتِها ، تتفَلَّتْ موجأتها الصوتية لتعزِفَ
أجملَ الألحانِ في مُستقرِّ فُوَادِهِ ، يُحاولُ الحفاظَ على
اتزانِهِ مُدْعِيًا تجاهلها ، تبوءُ كُلُّ محاولاته بالفشلِ، تحلُّ
عيناُه دورَ الكاميرا لترصدَ دفاةَ حضورها وتصهرُه
تمامًا كبدِ الدّجى مُشعّةً وفاتنةً - تلكَ البهية التي كانَ
يظنُّها وهماً في مخيلته باتت هي كلّ الحقيقة وما عداها
محضُ غوايةٍ أو سرابٍ ..

" تَجَدُّد "

كم كانتُ تناظرُ في المرآة وجهَهَا ، تُخاطِبُ ذاتَهَا:
 " أنتِ لم تكُبِري بَعْدُ ، فالأربَعينُ لا تُعني إلا تَجَدُّدَ الحِياةِ ،
 ما زلتِ تنافسينِ الصَّبايا حُسناً وجمالاً ، فاعزِفي
 وارقُصي كيفَما يَحلو لكِ ". لم تَتغيَّر ثَقَّتْها بذاتِها لدقيقةٍ
 واحدةٍ ، وفي لحظةٍ عَفلةٍ سَرَقَها ذاكُ الشابِّ من ذاتِها ،
 عندَ القَبلةِ الأولى اشْتَعَلَ فَتَيْلُ فِتْنَتِها ، وبعدَما استرسلَ في
 السُّقيا وفاضتِ أرضُها ، تَرَكَها تُعاني حُرقةَ الفراقِ ،
 حتَّى جَفَّتْ بَعْدَما ارتحلَ وَغَابَ عَنها لسنواتٍ حتَّى نَزَفَتْ
 آخرَ عَبراتها ...

" مَصالِح "

مع هدأة الليلِ ولذَّةِ السمرِ دخَلتُ إحدى المقاهي الثقافية ، فسألني بعضُ الرفاقِ عن صديقٍ قديمٍ تَبَدَّلَ عني فجأةً حتَّى وصلَ لدرجةِ أن بدأ يُحارِبُني .. فأجبتُهم : " إنَّ لصديقيَ هذا حكايةً كحكايةِ تلكَ العجوزِ النَّبيلةِ التي كان عندها جَارٌ وحمارٌ ، وكانَ يمرُّ الجارُ فلا يردُّ السَّلامَ عليها ، وفي يومٍ جاءها يُردُّ السَّلامَ بحرارةٍ وبعدَ السَّلامِ طلبَ استعارةَ الحمارِ فَلَبَّتْ طلبه بِحقِّ الجيرة ، وكرَّرَ ذلكَ الأمرَ في اليومِ التَّالي ، حتَّى إذا فرَّغت حاجتُه من الحمارِ مرَّ في اليومِ الثالثِ دونَ أن يردَّ السَّلامَ ولمدةِ أسبوعٍ كاملٍ ، بقيَ يتجاهلها ولا يُسلِّمُ ، وفي اليومِ العاشرِ جاءها يُلقى السَّلامَ كما في يوميه الأولين ، فقالت له: "من غيرِ سلامٍ عَرَفْنَا حاجتَكَ للحمارِ ، اذهب للحمارِ خذهُ دونَ أن تُجبرَ نَفْسَكَ على سلامِ الحَميرِ ". وهذا كانَ حالُ مَنْ ظننَّتهُ صَاحِبِي وصديقي بعدَ انتهاءِ مصلحتِهِ وحاجتِهِ ..

" فوضى مشاعر "

يَقْسُو عَلَيَّ بِصَمْتِهِ وَجَبْرُوتِهِ ، أُوْبِّخُهُ وَأَزِيدُ مِنْ
وتيرة غَضْبِي ، يَعلو صَوْتِي عَلَيْهِ ، لا يَنْبِسُ بِنَبْتِ شِفَةِ ،
أَتَهَاوَى عَلَيْهِ بِأَقْبِحِ الْكَلَامِ فَلَا أَجِدُ مِنْهُ إِلَّا الصَّمْتَ ، وَقَدْ
أَفْصَحْتَ عَيْنَاهُ عَنْ هَطُولِ هَادِرٍ ، أَحَاوِلُ أَنْ أَضْمَهُ إِلَى
صَدْرِيَّ وَلَكِنْ شَيْئًا مَا يَمْنَعُنِي ، مَعَ كُلِّ عِبْرَةٍ جَرَّتْ عَلَى
خَدِّهِ كَانَتْ حِمْمٌ وَبَرَائِكِينَ تَتَفَجَّرُ وَتَنْصَهَرُ فِي قَلْبِي ،
أَصْبَحْتُ كَالْمَجْنُونِ الَّذِي لَمْ يَقْوِ عَلَى الرَّجُوعِ لِعَقْلِهِ
وَرُشْدِهِ وَلَمْ يَسْتَطِعِ التَّأَقُّلَ مَعَ جُنُونِهِ ، كُلَّ مَا أَتَيْقُنُ مِنْهُ
أَنْتِي أَحِبُّهُ وَأَحَاوِلُ أَنْ أَكُونَ أَبَا صَالِحًا لَهُ ، وَلَكِنَّ الدُّنْيَا
مُرْهِقَةٌ وَكُلُّ مَا فِيهَا يَجْعَلُنِي أَزْدَادُ حِرْصًا وَرَبِّمَا قَسْوَةً ،
وَرَبِّمَا خَوْفًا وَذَعْرًا مِمَّا نَرَاهُ مِنَ الْأَجْيَالِ حَوْلَنَا ، فَأَعُوذُ
لِأَسْأَلَ اللَّهَ رُشْدِي وَهَدَايَتِي وَتَوْفِيقِي لِأَكُونَ نَعَمَ الْوَالِدِ
وَأَبِيَّتَ لَيْلَتِي مُتَلَحِّفًا دَمْعِي وَمُتَجَرِّعًا مَرَّ الْأَيَّامِ وَقَسْوَتِهَا
عَلَيْنَا وَقَدْ بَادَلَنِي حَنَانَهُ بِقَسْوَتِي...

" حَسَنَاءُ "

جاءها يطلبُ مشاعرَ دافئة ، صارحها بإعجابهِ
 بها ، حبستهُ في حضورِها البهّي ، سألتها عن شاعرٍ لهُ
 في قلبها الحنونِ ، ارتسمَ الشفقُ في وجهها وابتسمت ،
 وما زالَ ينتظرُ أن تردَّ الجوابَ مِن جديدٍ ، ولو على
 سبيلِ رؤيتها في الحلمِ أو الحُضورِ في الخيالِ ...

" اغتراب "

منذ غياب القمرِ وخسوفه لم يعد الليلُ للسكونِ ،
انقلبتْ حالُهُ وتغيّرتْ مقاديرهُ ، هو لم يعشقِ الهجرانَ
أبدًا، ولم يُفكّرْ ذاتَ يومٍ بالخروجِ عن مداراتهِ والابتعادِ
عن شمسِهِ ، كثرةُ الاصطداماتِ من حوله جعلتهُ يهجرُ
مرقدَهُ ، تتقطّعُ أوصالُهُ اشتياقًا لنجومهِ الصّغارِ ، ويُصيبُهُ
الوهنُ والضعفُ فلا يتوهّجُ ولا يتنقّدُ بنورِ ، أصبحَ يخشى
الليلَ فيتوارى فيه ويتلاشى في نهارِهِ ، لم تفهمِ الشمسُ
يومًا معنَى الاغترابِ أو الاحتراقِ ، بقيتْ تُشعلُ بنيرانِها
كلَّ مَنْ يُحاولُ الاقترابَ منها ، وتُحجبُ أشعتهاُ بابتعادِها
عن قمرِها وأفلاكِها فتعديهمُ النّورَ والدفءَ ، ومُنذُ أن
اضطرَّ القمرُ للرحيلِ لم يذُقْ أيُّ طرفٍ منهم طعمَ
الرّاحةِ، وبقيتِ النّجومُ ضحيةً لذلكِ العنادِ الذي تولى
إبليسُ قيادتهُ وتضخيمَهُ...

" مُرور "

تُهَاتِفُهُ ، يُجِيبُ دَعْوَتَهَا ، تُبَادِلُهُ الْحَدِيثَ ، يَزِدَادُ
 تَعَلُّقًا ، يَتَدَلَّى إِلَيْهَا ، تَقْطِفُ قَلْبَهُ ، ثُمَّ تَتَوَارَى مِنْ جَدِيدِ
 لِيُنْشِدَ عَازِفًا نَازِفًا:
 حَنِينُ الْبَلَابِلِ
 تَشْدُو بِصَوْتِهَا الْعَذْبِ
 ذَكَرِيَاتِ الْأَمْسِ.

"وهم"

سَارَ كَالإِبْهَامِ وَسَطَ الْإِزْدِحَامِ ، مُتَفَرِّدًا بَيْنَ إِخْوَتِهِ
 وَمَنْ هُمْ حَوْلَهُ ، شُعُورُ الْوَحْدَةِ لَمْ يَنْفَكْ يَأْتِيهِ بَيْنَ الْحَيْنِ
 وَالْآخِرِ ، سُرْعَانَ مَا كَانَ يُقْنِعُ نَفْسَهُ بِقُدْرَاتِهِ ، يُحَاوِلُونَ
 كَسْرَهُ وَلَكِنَّهُ يَبْقَى صَلْبًا رَغَمَ رَقَّتِهِ وَحَنِينِهِ ، وَشَلَالُ
 الْعَبْرَاتِ لَا يَهْطُلُ إِلَّا مُتَخَفِّيًا فِي الثُّلُثِ الْأَخِيرِ مِنَ اللَّيْلِ ،
 يَرَسُمُ ابْتِسَامَتَهُ لِتَكُونَ عَلَامَةً عَلَى أَنَّهُ مَا زَالَ يُقَاوِمُ ،
 وَمِنذُ ذَاكَ الْيَوْمِ الَّذِي حَاوَلَ الْإِفْصَاحَ بِهِ عَمَّا يَعْتَرِيهِ مِنْ
 مَشَاعِرَ بَدَأَتْ مُعَانَاثُهُ ، ظَنَّتْهَا الْخَلَاصَ مِمَّا هُوَ فِيهِ ،
 تَمَسَّكَ بِهَا كَأَنَّهَا طَوْقُ النِّجَاةِ ، وَلَكِنَّهَا سُرْعَانَ مَا أَعْرَقَتْهُ
 ثُمَّ ارْتَحَلَتْ ...

" من المسؤؤل؟ "

سَأَلْتُ الحَكِيمَةَ فِي زِيَارَتِي الخَاطِفَةَ لَهَا ظَهيرَةَ هَذَا اليَوْمِ : " لِمَ السَّمَاءُ لَمْ تَعُدْ تَبْكِي بِكِرْمِهَا عَلَي هَذِهِ الأَرْضِ؟ " أَجَابَتْنِي وَالحَسْرَةَ تَمَلُّاً رُوحَهَا : " العَتَبُ كَبيرٌ عَلَي أَهْلِهَا ؛ فَمَرَّةً يُنْتِجُونَ مُسَلْسَلًا خَالِعًا يَطُلُّ عَلَيْنَا بِحَافِلَةِ الخَلَاعَةِ لِإفْسَادِ الطَّالِبَاتِ ، أَوْ فَلَماً وَضِيعًا أَبْطَالُهُ تَبَرَّأَ الخُلُقِ مِنْهُم حَتَّى اسْتَعَادَ الجِسْمَ مِنْهُم ، وَمَرَّةً يَعُودُونَ بِرُؤْيَا تِ لَمْ تُمَثِّلْ خُلُقَ أبنَاءِ هَذِهِ الأَرْضِ بَل رَوَّجَت لِخُلُقِ مِنْ أَجَازِهَا وَكَتَبَهَا فَقَط ، وَفِي المُقَابِلِ يَمْتَنِعُونَ عَن نَشْرِ دِيوَانِ شِعْرِي لِشَاعِرٍ مِنَ الطَّرَازِ الأَوَّلِ . " سَأَلْتُهَا مَرَّةً أُخْرَى : " هَلْ هُوَ نَهْجٌ اتَّبَعُوهُ دُونَ أَنْ يَجِدُوا مِنْ يُحَاسِبُهُمْ؟ نَاهِيكَ عَن أَنَّ صَدِيقَتِي الحَسَنَاءَ الوَجْهَ وَمَثِيلَاتِهَا يَحْصُدْنَ بِغَنَجِهِنَّ الدَّعَمَ الكَامِلَ لَتَفَاهِتِهِنَّ الأَدْبِيَّةَ ! " . أَجَابَتْنِي وَالحَسْرَةَ تَمَلُّاً رُوحَهَا وَقَلْبَهَا : " الغَنَجُ وَالجَمَالُ يُقِيمَانِ

جودة الشعرِ ولو كان نثرًا قبيحًا ، وذلك الأرعنُ ما زال
يُفسدُ قدرَ ما شاء باسمِ الثقافةِ " .. هُنا صُعبتُ وسألتها
باللهِ أن تتوقفَ عن سردِها لآلامِ المثقفينَ ، وكيفَ تمَّ سرِقُهُ
الدعمِ الثقافيِّ وتحويلُهُ لميوماتٍ للجانبِهم ولتأسيسِ فرقة
"هشكُ بشكُ " بعدما تذكَّرتُ ليلةَ الرقصاتِ العربيةِ
برعايةِ رسميةٍ ، ثمَّ رفعتُ يديَّ إلى السماءِ مُناجياً اللهَ
العفو لعلَّ السماءَ تُمطرُ على أرضنا من جديدٍ...

" جَاهِلَةٌ "

تَحَسَّسَ حَاجَتَهَا ؛ فَفَاتَ عَيْنَهُ.

" غَرِيبٌ "

وَأُوهَ أَمْرَهُمْ ؛ عَزَلَهُمْ عَنِ قِلَاعِهِمْ.

" مُتَلَوْنِيْنٌ "

تَسَاقَطَتِ أَقْنَعَتُهُمْ ؛ ارْتَعَبَتِ مِنْهُمْ أَزْوَاجُهُمْ.

" فَاتِنَةٌ "

جَاءَتْهُ بِالْحَبِّ ؛ تَرَكَتُهُ مُلْطَخًا بِرَائِحَتِهَا.

" ثقافة "

تَسَوَّلُوا حَقُوقَهُمْ ؛ جُوزُوا بِالْحَرَمَانِ .

" قلوب "

ارْتَشَفَ حُزْنَها ؛ وَهَبَتْهُ الأَلَمَ .

" عاقر "

عاشَرها نَذْلٌ ؛ وَلَدَّتْ الحَيانَةَ .

" فنان "

رَسَمَ فَناءَ أَحلامِهِ ؛ عانَقَتْهُ الأَلوانُ .

"جُود"

أَدْخَلَهَا عَالَمَ الْإِبْدَاعِ ؛ لَفَظَتْهُ خَارِجَ عَالَمِهَا.

"وَفَاء"

تَمَلَّكَ حُبُّهُ قَلْبَهَا ؛ أَصَابَهُ الْعَمَى عَنِ غَيْرِهَا.

"شَوْق"

حَنَّ إِيَّهَا ؛ صَفَعَتْهُ بِالْفِرَاقِ .

"دُنْيَا"

اِكْتَسَى بِحُبِّهَا ؛ تَعَرَّى .

" هوى "

اسْتَرشَدَ بِفِتْنَتِهَا ؛ فَقَدَ بَصِيرَتَهُ .

" خيانة "

اعْتَصَرُوا لِذَّتْهَا ؛ أَمْطَرُوا نَدْمًا .

" إلهام "

فَتَحَ نَافِذَةَ الدِّعَاءِ ؛ اسْتَنْشَقَ رَحِيقَ الْجَنَّةِ .

" هيام "

عَزَفَتْ أَنْفَاسَهَا ؛ رَقَّصَ قَلْبُهُ .

" حُر "

رَكَعَ أَمَامَهُ الطُّغَاةُ ؛ اِنْتَصَرَ الْوَطَنُ .

" جُنُون "

سَحَرَتْهُ النَّسَمَاتُ ؛ تَيَمَّمَ بِدَمِهِ .

" سَرَاب "

رَأَى صُورَتَهَا ؛ تَذَكَّرَ ظِلَّهُ .

" نُفُوس "

تَفَجَّرَ الْعِدَاءُ ؛ تَيَمَّمَتِ الْمَصَالِحُ .

الفهرس

رقم الصفحة	الموضوع
٢	لوحه بين نرف وعرف
٥	الإهداء
٦	المقدمة
٨	همجي
٩	زيارة
١١	صدفة مقصودة
١٢	تحول
١٣	تعلق
١٥	سجين
١٧	طفلة الحدود
١٨	بين نرف وعرف
١٩	سطوة الحب
٢٠	قدر
٢١	إيثار
٢٢	قضية مصلوبة
٢٣	جواد
٢٤	بطاقة

٢٥	ثقافة منوعة
٢٦	حرية
٢٧	مشهد
٢٨	براءة
٢٩	جوف
٣٠	فداء
٣١	ججود
٣٢	مصير
٣٣	وسواس
٣٤	حسد
٣٥	مأمور
٣٦	عرس بلدي
٣٧	صفعة
٣٨	ارتياح
٤٠	عواد
٤١	يتيم
٤٢	بائع الحلوى
٤٣	نصيب
٤٤	ظنون

٤٥	شِبْدَة
٤٦	عزيمَة
٤٧	مسار
٤٨	رَعِشَة
٤٩	هزير العرب
٥١	ندم
٥٢	بوح
٥٣	تقرير ثقافي
٥٥	حيُّ القراصنة
٥٧	رحلة
٥٩	موعظة
٦١	فاتنة
٦٣	واقع
٦٤	وسواس
٦٥	شفاعة
٦٦	فَقْد
٦٨	ازدراء
٦٩	انتهازي
٧٠	تَمَائِل
٧١	مسؤول

٧٢	وحش
٧٣	كفاح
٧٤	سينما
٧٦	مُستعمر
٧٧	سياسة
٧٨	توقيع
٧٩	زَرع
٨٠	حالم
٨١	قراءة
٨٢	خَفايا
٨٣	غواية
٨٤	تَجَدُّد
٨٥	مصالح
٨٦	فوضى مشاعر
٨٧	حسنا
٨٨	اغتراب
٨٩	مرور
٩٠	وهم
٩١	من المسؤول؟

- ٩٣ جاهلة ، غريب ، متلونين ، فاتنة
- ٩٤ ثقافة ، قلوب ، عاقر ، فنان
- ٩٥ جحد ، وفاء ، شوق ، دنيا
- ٩٦ هوى ، خيانة ، إلهام ، هيام
- ٩٧ حر ، جنون ، سراب ، نفوس

تمَّ بحمد الله

لوحة الغلاف " بين نَزف وعزف "

بريشة الفنان الأردني إدريس الجراح



القيصر للتدقيق والتنسيق والإعداد الطباعي

الأردن - إربد ٠٧٩٩٦٢٤٢١٣